قرة عين

الكشف عن معاني الصلاة وحكمها وأسرارها والتأمل في روحها وحقيقتها



تأليف

د. عبد الرحمن بن عبد العزيز القنوت

الحضارة

الطبعة الأولى

قرة عين

ح دار الحضارة للنشر والتوزيع، 1447هـ
فهرسـة مكتبـة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الزهراني، عبد الرحمن بن عبد العزيز محمد
قرة عين/ عبد الرحمن بن عبد العزيز محمد الزهراني ـ ط1 ـ الرياض ـ
1447هـ
224 ص؛ 20x14 سم
ردمك: 978-603-8559-16-1
رقم الإيداع: 1447/1681

رقم الإيداع: 1447/1681
ردمك: 978-603-8559-16-1

الطبعـة الأولـى
1447هـ ـ 2025م

دار الحضارة

المملكة العربية السعودية - الرياض
daralhadarah@hotmail.com
الرقم الموحد: 920000908 الفاكس: 2702719 - 011
0551523173 @daralhadarah
زوروا متجر الحضارة
daralhadarah.net

قرة عين

الكشف عن معاني الصلاة
وحكمها وأسرارها والتأمل في روحها وحقيقتها

تأليف

د. عبدالرحمن بن عبدالعزيز القنوت

دار الحضارة

بسم الله الرحمن الرحیم

المقدّمة

الحمد لله على عظيم آلائه، والشكر له على تعاقُب نعمائه، وصلى الله وبارك على محمد خير أنبيائه، وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم لقائه، أما بعد:

الصلاة من أعظم العبادات، والقرب من الله تعالى والخضوع له والتذلل بين يديه والافتقار إليه من أجلّ الطاعات، ومناجاته ودعاؤه أمرٌ يحبه الله تعالى، ويثيب على فعله، ويعلي منزلة عبده، ويرفع من شأنه.

جاءت الصلاة فرضا من الله تعالى تحقق العبودية لله تعالى، وتلبي حاجة العبد، وتروي عطشه، وتقوي صلته بربه، وتزيد إيمانه، وترفع درجته، وتهذب أخلاقه، وتذهب سيئاته وأدرانه، وتريح نفسه، وتطمئن قلبه، ويجد فيها سروره وأنسه.

الصلاة ليست حركات مجردة من المعاني، فارغة من الحِكم، وأقوال تردد بلا مقصد، وكلمات جافة بلا معنى، بل كلها معان وحِكم، اشترك القلب مع سائر الجوارح في التوجه

لله والقصد، فكل حرف ينطق به المصلي وكل حركة يؤديها لها سرها وذوقها، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن حقيقة الصلاة «وتعبّد بها القلب والجوارح جميعا، وجعل حـظ القلب منها أكمل الحظين وأعظمهما، وهـو إقباله على ربه سـبحانه، وفرحه، وتلذذه بقربه، وتنعمه بحبه، وابتهاجه بالقيام بين يديه»[(١)].

الصلاة لقاء بين العبد وخالقه، ينقطع فيه عن الدنيا، ويقبل فيها على الله بكلّيته، ويقف بين يدي مولاه وسـيده، ففي كل حركة من حركاتها سـرّ، وفي كل كلمة مـن كلماتها حِكمة، علمها من علمهـا، وجهلها مـن جهلها، تنقـل المؤمن من حضيض الحياة الدنيا إلى سمو القرب من الله.

وفي هذه الكتـاب نصحبكم للحديث عـن الصلاة؛ قرةِ العيون، وأنسِ المؤمنيـن، وملاذِ الخائفين، ونـور التائهين، وشفاء المذنبين، وراحة وانشراح الموحدين.

نرجو من موضوعاته الكشف عن شيء من معاني الصلاة، وبيان حِكمها، واسـتعراض دقائقها، وذكر شـيء من آثارها، والإجابة عمّا يتعلق بها؛ بدءا من الاستعداد لها، إلى كل ركن من أركانها، وقول من أقوالها، حتى الانتهاء والتسليم منها.

---

(١) الكلام على مسألة السماع، (١٠٩).

ولعل كلمات الكتاب تكون إجابة لكل سائل عن معاني الصلاة، وباحث عن أسرارها، ومتعطش لمعرفة سر هذا اللقاء المتجدد، ومعينًا لكل من يريد أن يجدّد صلته بالله، ويرغب أن تغيّر صلاتُه حياتَه وأيامَه، فيدرك بعضا من معانيها، ويصل إلى روحها وحقيقتها؛ ويذوق حلاوة الانطـراح بين يدي مولاه، فيقبل عليها فرحاً مسرورا، خاشاً ذليلاً، منتظراً لأوقاتها، متحيّناً الدخول فيها، فتكون الصلاة قرة العين وراحة البال، كما كانت قرة عين الحبيب ﷺ.

وقد اجتهـدت في مادة هذا الكتـاب عند الحديث عن معاني الصلاة وحِكمها أن أسـتند إلى آيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول الأمين، وإلى أقوال أهل العلم من السابقين والمعاصرين.

وجاء اسم الكتاب «قرة عين»، أخذًا من كلمات نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام حين ذكر الصلاة فقال ﷺ: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»[1]، وقرة العين درجة فوق المحبة، وهو تعبير نبوي عن الأنس والسكينة، والراحة التي كان يجدها ﷺ حين يقف بين يدي الله تعالى.

---

(١) أخرجه النسائي، حديث رقم: ٣٩٣٩، وقال الألباني حسن صحيح.

وأصل هذه المادة سلسلة من الدروس اليومية ألقيتها على المصلين في شـــهر رمضان المبارك، من عام ألف وأربع مئة وتسعة وثلاثين للهجرة، ثم بدا لي أن أخرجها في كتاب، بعد إعادة ترتيب وزيـــادة وتفصيل، ولله الحمـــد والفضل والمنة، وأسال الله الكريم أن يبارك فيه، وأن ينفع به عموم المسلمين.

جاء الكتاب في ثلاثـــة فصول؛ في الفصـــل الأول ـ عمود الإسلام ـ الحديث عن الصلاة ومكانتها ومنزلتها، وعن فرضيتها، وعن شيء من ثمارها في الدنيا والآخرة، وعن مكانة الصلاة عند رســـول ﷺ، وفي الفصل الثاني ـ الاستعداد للصلاة ـ، الحديث عن الطهارة للصلاة، والتزين لها، والمشـــي إليها، وعن التوجه للقبلة، وعن مواقيتها وعن النداء، والتبكير إليها، والسترة، وتسوية الصفوف، وعن طهارة الفم، وفـــي الفصل الثالث ـ بين يدي الله تعالى ـ الحديث عن الصـــلاة ذاتها حال القيـــام إليها، بدءا من تكبيرة الإحرام حتى الانصراف منها، متوقفا عند هيئاتها وأقوالها.

واللهَ الكريم أســـأل أن يجعل راحتنا وسلوتنا وأنسنا وقرة أعيننا في الصلاة.

عبد الرحمن بن عبد العزيز القنوت

❀❀❀



الفصل الأول

«عمود الإسلام»

- قرة العيون.
- أرحنا بالصلاة.
- وأقم الصلاة.
- الرحلة السماوية.
- هي خمس وهي خمسون.
- والصلاة نور.
- ورثة الفردوس.

قرة العيون..

لطاعة الله وعبادته سرور يجعله الله في قلب عبده المؤمن، فينعم بذلك ويأنس، ويجد لها حلاوة يشعر بها في قلبه، وذوقا ولذة يلتذ بها، فيجد إليها توجها وإقبالا وانشـراحا، وفي هذا المعنى يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن سرور القلب بالله وفرحه به، وقرة العين به لا يشبهه شـيء من نعيم الدنيا ألبتّه، وليس له نظير يقاس به، وهو حال من أحوال أهل الجنة، حتى قال بعض العارفين: إنه لتمرّ بي أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا، إنهم لفي عيش طيب[١].

وقد جـاء عن النبي ﷺ بيـان تلك الحالـة من الذوق والتلذذ التي يجدها المؤمن فـي قلبه، حين أخبر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عنها بقوله: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسـولا»[٢]، وقال ﷺ: «ثلاث مـن كن فيه وجد

(١) مدارج السالكين، ٢/٦٧.

(٢) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٣٤.

حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[(١)].

وما يجده المؤمن في قلبه من الانشراح والارتياح في العبادة إنما هو من فضل الله تعالى وكرمه على أوليائه في الدنيا، يجعلهم يتلذذون بالطاعة، فيقبلون على أوامر الله تعالى بشوق، ومَن هذا حالُه فإنه سـيجد الألم في قلبه، وتصيبه الحسرة والندامة حين تفوته العبادة. يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، وسـمعت شـيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ يقول: إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحا، فاتّهمه، فإن الرب تعالى شكور، يعني أنه لا بد أن يثيب العامل على عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه، وقوة انشراح وقرة عين، فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول[(٢)].

لا تحصل للمصلي اللذة، ويجد الانشراح والراحة، ويأنس باللقاء، ويصل لتلك المنزلة من الشوق إلا بإيمان بالله ومعرفة، ومجاهـدة ومكابدة، قـال الله تعالـى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ١٦.

(٢) مدارج السالكين، ٢/٦٨.

الصلاة من أعظم الطاعات، ومن أشرف العبادات، وتكمل الراحة فيها والأنس بها حين يعرف المصلي معانيها، ويدرك روحها، ويعرف أحكامها وحِكمهــا، فتصبح الصلاة قرة عينه وســلوته، وراحته وفرحه وابتهاجه، حتــى لا يكاد يجد حالا يأنس به ويرتــاح إليه أفضــل من وجوده فــي الصلاة، ومن الوقوف بين يدي ربه، وكلما كان العبــد أكثر معرفة بالصلاة وحقيقتها، كان إقباله عليها وراحته وانشراحه أعظم.

ومما يجلّي هذا الشــعور، وصْف النبي ﷺ مكانة الصلاة عنده ومنزلتها في قلبه، قال ﷺ: «حبب إليّ من الدنيا النساء والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة»[1]، فوصف رسول الله ﷺ شعوره حين يقف بين يدي الله تعالى بقوله «قرة عيني»، وهو تعبير عن الشعور والأنس والسكينة الذي يجده عليه الصلاة والسلام في الصلاة، وقرة العين مأخوذ من قَرار العين، فالعين وقت الحزن ووقت الذهول لا تقرّ، فإذا جاء شيء يسُرها قرّت وسكنت، فهي كناية عن السكون والراحة والاطمئنان والسرور، وقيل في معنى قرة العين أنها الدمع البــارد الذي يخرج مــن العين وقت الفرح والسرور كما أن للحزن دمعة حارة[2].

---

(١) أخرجه النسائي، حديث رقم: ٣٩٣٩، وقال الألباني حسن صحيح.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، (٦٦٣).

جاء التعبير النبوي حين ذُكرت ملذات الدنيا وزينتها من النساء والطيب بوصف المحبة، وأما حين ذكرت الصلاة جاء الوصف فيها بِـ «قرة العين»، فأمر الصلاة وشأنها أعظم من المحبة، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «قرة العين فوق المحبة، فجعل النساء والطيب مما يحب، وأخبر أن قرة العين التي يطمئن القلب بالوصول إليها ومحض لذته وفرحه وسروره وبهجته إنما هو في الصلاة، التي هي صلة بالله، وحضور بين يديه، ومناجاة له واقتراب منه، فكيف لا تكون قرة العين، وكيف تقر عين المحب بسواها»[1].

كيف للعبد أن يعيش في استقرار وانشراح وليس له حظ من هذه الصلاة، وكيف لمن يريد الأنس والبهجة وإتيانه للصلاة ثقيل وشاق، ومن طلب الراحة والسرور والانشراح في غير طاعة الله ومناجاته فقد أخطأ الطريق، يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

ما هي الصلاة التي تبعث السرور؟ وما هي الصلاة التي تأتي بالبهجة وتُشعر بالراحة؟ وما هي الصلاة التي تَقر بها

---

(١) طريق الهجرتين، (ص: ٤٠).

العين؟ إنها ولا ريب تلك الصلاة التي كان يصليها نبينا ﷺ، والتي يقيمُها بتلك الكيفية والإقبال، والتذوق والراحة، حتى أصبح قيامه ﷺ بين يدي ربه هو سلوته وأنسه، وفرحه وملاذه، إنها الصلاة التي كان ﷺ يلجأ إليها وقت الشدائد والكروب حتى يطمئن ويسكن، وتزول شدته وكربه، قال حذيفة رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلّى»(١).

الصلاة، هي الملاذ الآمن للخائفين، وملجأ الفزعين والمهمومين، ومحل السكون والراحة، وبها تزول الهموم، وتكشف الشدائد والكروب. قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر: ٩٧]، أي: ولقد نعلم يا محمد أنك يضيق صدرك بما يقول هؤلاء المشركون من قومك من تكذيبهم إياك واستهزائهم بك وبما جئتهم به، وأن ذلك يُحْرِجك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحِجر: ٩٨]، أي: فافزع فيما نابك من أمر تكرهه منهم إلى الشكر لله والثناء عليه والصلاة، يكفك الله من ذلك ما أهمّك»(٢)، هذا هو التوجيه الرباني لخير البشر نبينا ﷺ

(١) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ١٣١٩، وأحمد حديث رقم: ٢٣٢٩٩، وحسنه الألباني.

(٢) تفسير الطبري (١٧/١٥٩).

بالالتجـاء إلى الله والقـرب منه، حال الحـزن والهم وضيق الصدر، وحال سـخرية المدعوين وتكذيبهـم، وأعظم حالة يقترب العبد من ربه، ويتصل بخالقه ويبث إليه شكواه وحزنه وضيقه، وينشرح بها صدره، تكون في الصلاة.

فالصـلاة قرة العين، وراحـة الفؤاد، وبهـا يكون الأنس والانشـراح، كيف لا والصلاة علاقة مـع الله تعالى، واتصال بالرب سبحانه، تأمل نهج الصحابة رضوان الله عليهم وحالهم لما أدركوا معنى الصلاة وسرها، لما نُعي إلى ابن عباس رضي الله عنهما أخوه قُثَم، وهو في سفر، فاسـترجع، ثم تنحى عن الطريق، فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس، ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥][(١)].

❀❀❀

(١) تفسير الطبري (١٤/١).

أرحنا بالصلاة..

من عرف معاني الصلاة، وأدرك حقيقتها، وعاش لحظات الأنس فيها، وذاق حلاوة مناجاة الـــرب تعالى، ثم أصابه همّ أو ضيق، أو شدة أو كرب، فستكون الصلاة مقصده، والوقوف بين يدي الله ملاذه، ومناجاة الله مفتاح ســـروره وراحته، تأمل حال نبينا ﷺ وهو يقول: «يا بلال، أقم الصلاة، وأرحنا بها»[(١)]، فهذا رسول الله ﷺ يطلب الراحة والأنس في الصلاة، ويتوجه إلى الله لانشراح صدره وجلاء حزنه، وهذا حال أولياء الله تعالى الذين عرفوا طريق السعادة والطمأنينة والانشراح.

لنقس أحوالنا بحال رسولنا ﷺ في البحث عن السعادة والراحــة، حين نصــاب بالملل والضيق، وتســوء أنفسُــنا وأحوالُنــا، فإلى من نبحــث لجلاء تلك الحالة وكشــفها؟ وما الشيء الذي نطلبه حتى نجلب الراحة والسرور؟ وإلى

(١) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٤٩٨٥، واللفظ لــه، وأحمد حديث رقم: ٢٣٠٨٧، وصححه الألباني.

من نشـــكو الهموم والأحزان ليفرح القلب وينشـــرح؟ ترى البعض يلجأ إلى مكان ما طالبا الترويح والانشراح، أو إلى صديق يبث إليه همه وشكواه، أو وسيلة أخرى ليُذهب عن نفسه ضيقها وكدرها، وأما من عرف حقيقة الصلاة، وعرف أحوال المشـــتاقين إليها فإن أول توجه سيكون إليها، وأول مفزع له ففي الوقوف بين يـــدي الله، كما هو حال نبينا ﷺ، حين كان يردد «أرحنا بالصلاة».

لنتســـاءل، هل نجد من أنفسنا ذلك الإقبال على الصلاة؟ وهل ننتظر الصلاة تلو الصلاة فيصدق فينا «أرحنا بالصلاة»، أم أرحنا من الصلاة فتثقل علينا، ويثقل علينا التبكير إليها، ويشق علينا الانتظار قبل الإقامة لها من طول المكث والانتظار، إننا نرى البعض يلتفت يمنة ويســـرة عند تأخر الإمـــام لدقيقة أو دقيقتين، وفي أثناء الصلاة ننتظر قضائها وانتهائها، ونتحيّن متى يسلم الإمام وننفتل منها لننقلب إلى ملذات الدنيا وشهواتها، ونشاهد من يقف على رجليه عقب الصلاة الأوقات الطويلة في المســـجد أو في ســـاحاته، وهو في حديث الدنيـــا وأخبارها ولا يشـــعر بالملل والتعب، وهو قبل لحظات قد ثقلت عليه إطالة الإمام في القراءة.

قال الله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، ويعني بقوله: ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾: أي الصلاة شديدة ثقيلة[١]، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالصلاة قرة عيون المحبين، وسرورُ أرواحهم، ولذةُ قلوبهم، وبهجةُ نفوسهم، يحملون همَ الفراغ منها إذا دخلوا فيها كما يحمل الفارغ البطال همَها حتى يقضيَها بسرعة، فلَهم فيها شأْن وللنقّارين شأْن، يشكون إلى الله سوءَ صنيعهم بها إذا ائتموا بهم، كما يشكوا الغافل المعرض تطويل إمامه، فسبحان من فاضل بين النفوس، وفاوت بينها هذا التفاوت العظيم، وبالجملة فمن كان قرة عينه في الصلاة فلا شيء أحبَ إليه ولا أنعمَ عنده منها، ويودّ أَن لو قطع عمرَه بها غير مشتغل بغيرها، وإنما يسلي نفسَه إذا فارقها بأنه سيعود إليها عن قرب، فهو دائماً يثوب إليها، ولا يقضى منها وطرا[٢].

وقد تثقل الصلاة وتشق أحيانا، وقد يكْسل المصلي عند القيام إليها، لكن بالمجاهدة والصبر والتصبر، والتعرف على

---

(١) تفسير الطبري (١٥/١).

(٢) طريق الهجرتين (٣٠٧).

حِكمها ووسائل الخشوع فيها، وسبر أحوال الخاشعين فيها، فإنها بحول الله تنتقل من الثقل والتكاسل لتصبح الأنس والراحة، وكم نحن بحاجة إلى الصبر عليها حتى تصبح قرة أعيننا وسلوة أحزاننا وراحة قلوبنا، والله سبحانه يقول: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]، و(التصبّر) تكلّف الصبر[1]، فبالتصبر والمجاهدة والمكابدة يصل العبد إلى مرحلة التلذذ والأنس والانشراح بها، يقول ثابت البنانيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كابدْت الصلاة عشرين سنة، وتنعمت بها عشرين سنة.[2]

❀❀❀

(١) مختار الصحاح (١٧٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٢٤/٥).

وأقم الصلاة..

حين أمر الله تعالى عباده بالصلاة قال: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، ولم يأمرهم بأدائها، وهناك فرق بين إقامة الشيء وبين أدائه، وإقامة الصلاة أداؤها بحدودها وفروضها وواجباتها، جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال عند قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [المائدة: ٥٥]: إقامة الصلاة تمام الرّكوع والسّجود، والتّلاوة والخشوع، والإقبال عليها فيها،[١] وحين ذكر الله دعاء أبينا إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠]، فالمطلوب إقامة الصلاة كما كان يقيمها ﷺ، والذي قال «صلوا كما رأيتموني أصلي»[٢].

(١) تفسير الطبري (٢٤٢/١).

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٦٣١.

ومن دلائل الإقامة الحقيقية للصلاة، والتعرف على أدائها على وجهها؛ النظر في حال المصلي وسلوكه وحياته عقب أداء الصلاة، وبعد الفراغ منها، فطبيعة هذه العبادة العظيمة وما تتضمنه من أقوال وأعمال لا بد وأن تُحدِث في حال المصلي تغييرا، ويجد لها تأثيرا في قلبه وعمله وحياته، تأمل أيها المصلي حالك بعد الصلاة! هل أنت قبل الصلاة كالحال بعد الانتهاء منها؟ هل حالنا بعد الصلاة ومناجاة الله والوقوف بين يديه كالحال قبل الصلاة؟ هل خمس مرات كل يوم وليلة من الاتصال بالله تعالى نزداد إيمانا وخشية لله وقربا من الطاعات وحبا لها؟ وهل بعد الصلاة نكره الفواحش والآثام والمنكرات ونزداد بعدا منها؟ أم أن قيامنا للصلاة وتركنا لها سواء؟ والله تعالى يقول: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

لو تأملنا حال من يصلي جميع الصلوات وهو مصرّ على العصيان، مقارف للفواحش لا يفارق المنكرات؛ فصلواته الخمس كل يوم وليلة لم تحقق المرجو منها، ولم يعرف المصلي مقصد وقوفه وصلته بالله تعالى، جاء عن ابن عباس رضي الله عنه عند قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ قال: الصلاة منتهى ومزدجر عن

معاصي الله[١]، وجـاء عنه رضي الله عنهما أنه قال: إن شـعيب عليه السلام كثير الصلاة، لذلك قال له قومه﴿يَـٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧][٢]، قال سفيان: إي والله، تأمره وتنهاه[٣]، فما أعظم حال من أثرت فيه الصلاة، وغيرت سلوكه، فأمرته ونهته، وزاد بها إيمانا وقربا من الله تعالى.

❀❀❀

(١) تفسير الطبري (٤١/٢٠).
(٢) تفسير البغوي (٤٦٢/٢).
(٣) تفسير الطبري (٤١/٢٠).

الرحلة السماوية..

لكل شـــيء مقامه ومنزلته، ومقام الصلاة عند الله عظيم، ومنزلتها ومكانتها فريدة، ومن عظيـــم قدرها أنها فرضت في السماء عنده سبحانه، فتفردت بمكان فرضها، فارتقى النبي ﷺ إلى السماء وصعد بروحه وجسده، وعرج به إلى مستوى رفيع، حتى سمع صريف الأقلام، وارتفع إلى مكان لم يبلغه أحد من البشر، ورفعت لنبينا ﷺ في تلك الرحلة سدرة المنتهى، فكلمه الله وفرض عليه الصلوات الخمس.

لم يكن فــرض الصلاة كســائر العبادات بأن يرســل الله جبريل عليه السلام إلى نبينا محمد ﷺ في الأرض التي نعيش، فيوحي إليه ما أمره الله به وأوحاه، لقد كان فرض الصلاة مختلفا، أُرسل إلى نبينا ﷺ ليرتفع بجسده الشريف إلى السماوات العلى، في مكان عال ومقام جليـــل، بين يـــدي رب العالمين، وما هذه المكانة العلية والمقام الرفيـــع لفرض الصلاة إلى لعظمة هذه العبادة الجليلة.

ومن جلالة الصلاة وعلــو قدرها أنها فرضت مباشــرة دون واسطة، فبعد أن وصل ﷺ لسدرة المنتهى، ارتقى عليه الصلاة والسلام لمرتقى سمع فيه ما تكتبه الملائكة بأقلامها من أقضية الله تعالى ووحيه، كما قال النبي ﷺ: «ثم عرج بي حتى ظهرت لمســتوى أسمع فيه صَرِيف الأقلام»[١]، ففرضها الله على نبيه ﷺ بذاته سبحانه، فكلم الله نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام كما كلم نبيه موسى عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، أي: موسى ومحمَّد عليهم الصلاة والسلام[٢]، فتكلم ربنا جل وعلا بصوت وحرف مسموع سمعه نبينا ﷺ، حتى إنه ﷺ كان يراجع رب العزة سبحانه لأجل التخفيف.

كانت الرحلــة عظيمة وجليلة، ابتدأت مــن جوار الكعبة المشرفة من مكة المكرمة إلى بيت المقدس، ثم إلى مكان عال في السماء، كانت أحداث تلك الرحلة منذ مطلعها إلى منتهاها تحفها الجلالة والقدر، ففي بداية هــذه الرحلة كانت الطهارة الربانية لنبينا محمد ﷺ بأيدٍ ملائكية وبأفضل طهور وأنقى ماء، يقول عليه الصلاة والسلام وهو يحكي بداية الرحلة، فقال: «أُتِيت بِطَسْــت من ذهب، ملئ حكمة وإيمانا، فشق من النحر إلى مراق البطن، ثم

(١) أخرجه البخاري: ٣٤٩، وأخرجه مسلم، حديث رقم: ١٦٣.
(٢) تفسير ابن كثير، (٦٧٠/١).

غسل البطن بماء زمزم، ثم ملئ حكمة وإيمانا»[١]، طهور وتزكية من الرب سبحانه قبل الصعود في المعالي، والترقي في السماء، وفرض الصلوات، فما أعظم الرحلة وما أشرفها.

ومن بركات هذه الرحلة وشرفها أن مرّ نبينا ﷺ بصحبة جبريل عليه السلام ـ ونعم الصاحب ـ بالسماوات السبع سماء سماء، فلم يتجهوا إلى مكان التكليم وفرض الصلاة مباشرة، بل كانت الرحلة السماوية تتوقف في كل سماء، والتقيا بأنبياء الله ورسله السابقين، فوجدوا من أنبياء الله ورسله الكرام آدم وإدريس ويوسف وموسى وعيسى وإبراهيم عليهم الصلاة والسلام.

لما كانت الرحلة المباركة من أعظم مقاصدها فرض الصلاة، أُري النبي ﷺ حال ملائكة الرحمن مع الصلاة، ورأى مكان إقامتهم لها، فمرّ عليه الصلاة والسلام بالسماء السابعة، ورأى البيت المعمور الذي تصلي فيه الملائكة، يقول عليه الصلاة والسلام: «فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم»[٢]، فمن جلالة قدر الصلاة عند الله أن الملائكة تصلي لله تعالى بأعدادهم الغفيرة،

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٣٢٠٧، ومسلم، حديث رقم: ١٦٤.
(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٣٢٠٧.

والتي لا يعلمهم إلا الله، كما يصلـــي لله تعالى في أرضه الإنس والجان، قال رسول الله ﷺ: «أَطَّتِ السـماء، وحق لها أن تَئِط، ما فيها موضع أربع أصابع، إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله»(١).

والصلاة بهذه الكيفية والوصف؛ من المعراج والارتقاء، والمكان الذي لم يبلغه بشـر، وتكليم الـرب جل في علاه، وشـرف السـماء وارتفاعها، قد تفرّدت عن سـائر العبادات، واحتلت قدرا وشرفا، وما ذاك إلى لعظمتها وعلو مكانتها عند رب العزة جل في علاه.

ومن عظيم قدر هذه الصلاة وجلالتها أن الله لما فرضها على نبيه موسـى عليه السلام فرضت في مكان مقدس معظـم، وهو وادي طوى، كلم الله تعالى موسـى عليه السلام في أمر الصلاة مباشرة دون واسطة، فقال تعالى عن قصة الوحي والتكليم لموسى عليه السلام في سورة طه: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١١ ـ ١٤].

❀❀❀

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٣١٢، وابن ماجه، حديث رقم: ٤١٩٠ وأحمد، حديث رقم: ٢١٥١٥.

هي خمس وهي خمسون..

علم ربنا سبحانه حاجة عباده للصلة به والقرب منه، وهو خالقهم وأعلم بما يصلحهم وينفعهم، فشـــرع لعباده صلةً به تعالى وقرباً منه كل يوم وليلة خمسين صلاة كما فرضت بادئ الأمر، خمسون صلاة يتهيأ لها العبد المسلم ويقف بين يدي ربه تعالى، ولم يفرض الله تعالى هذا العدد من الصلوات إلّا وفي علمه سبحانه أنها في وسع العبد وقدرته.

تأمل هذا العدد من الصلوات لو بقي دون تخفيف، كيف سيكون حال المسلم وهو دائم الصلة بربه سبحانه، وأصبح جلّ وقته بين يدي خالقه ومــولاه، يناجيه ويتلــو كلامه ويدعوه ويستغفره ويحمده ويثني عليه ويكبره ويمجده، هذه الخمسون صلاة هي حاجة العبد في يومه وليلته، ليكن دائم الصلاة بربه، متصــلا بخالقه كل لحظاتــه، وقد أخذت الصلاة بين ســائر العبادات جل الوقت وأكثره، ويصدق فينا قول الله جل وعلا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ومن حكمة الله تعالى أن سخر لنبينا ﷺ اللقيا بموسى عليه السلام، فيخبره بتجرِبته مع قومه في تنفيذ أوامر الله والالتزام بها، فقد عالج بني إسرائيل أشد المعالجة، واختبرهم في قيامهم بشرع الله، فأشار على نبينا ﷺ حين فرضها الله أول الأمر خمسين صلاة أن يرجع إلى رب العزة سبحانه ويسأله التخفيف، قال موسى عليه الصلاة والسلام: «إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جرّبت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشدّ المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك»(١)، وفي رواية «ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بَلَوت بني إسرائيل وخَبَرتُهم»(٢).

فعلم الله تعالى ضعف عباده، وسبقت رحمة الله تعالى، فجاء التخفيف من عدد الصلوات، فخففت عشراً عشراً، حتى بلغت خمس صلوات في اليوم والليلة، بعد أن كانت خمسين صلاة، قال ﷺ: «فرجعت، فسألته، فجعلها أربعين، ثم مثله، ثم ثلاثين، ثم مثله فجعل عشرين، ثم مثله فجعل عشرا، فأتيت

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٣٨٨٧.

(٢) أخرجه مسلم، حديث رقم: ١٦٢.

موســى، فقال: مثله، فجعلها خمســا، فأتيت موســى فقال: ما صنعت؟ قلت جعلها خمسا»[1].

ما زال موسى عليه السلام يشير على نبينا ﷺ بالتخفيف من عدد الصلوات بعد أن بلغت خمس صلوات، فطلب من نبينا ﷺ أن يرجع إلى الله تعالى يســأله التخفيف، فقال النبي ﷺ «سألت ربي حتى استحييت، ولكني أرضى وأسلم، قال: فلما جاوزت نادى مناد: أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي»[2].

كان إكرامُ الله لنبيــه، ورحمتُه بأمــة خليله ﷺ أن خفف العدد، وأثبــت الأجر، قال ﷺ: «هي خمس وهي خمســون، لا يبدل القول لدي»[3]، خمس صلــوات كل يوم وليلة، بكل صلاة عشر، فتلك خمسون.

لا يتصور أن مســلما يدعــي الاستســلام لله رب العالمين والعبودية له، وبشعر بالحاجة إليه، أن يقطع صلته بربه وخالقه ومولاه، وألا يأتي بهذه الصلوات الخمس في يومه وليلته، فإقامة الصلوات الخمس بهذا العدد هو أقل أنواع الاتصال بالله تعالى.

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٣٢٠٧.
(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٣٨٨٧.
(٣) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٣٤٩، ومسلم، حديث رقم: ١٦٣.

كلما زاد سجود العبد لربه، وزادت ركعاته لله تعالى زاد قربه من ربه، وإن كانت الصلوات المفروضة خففت لخمس، فلا يزال القرب من الله والاتصال به مشرعا سائر اليوم والليلة، فهناك السنن الرواتب والإكثار من النوافل والتطوع المطلق، وما يزال المسلم يصلي لله، ويكثر من القيام والسجود له، حتى يقترب منه، وتزداد صلته بربه تعالى، ويدنو من رضاه، قال الله تعالى: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾ [العلق: ١٩]، قال رسول الله ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه، وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»[(١)].

فرضت الصلوات أول الأمر خمسين صلاة حتى يشتغل بها العبد سائر يومه وليله، ويبقى متصلا بربه دائما، ملتجأ إليه، مستعينا به، غير مستغن عنه سائر أوقاته، وفي جميع لحظاته، وقد يتساءل أحدنا كيف سنصلي خمسين صلاة كل يوم لو بقيت دون تخفيف، وكم من الأوقات التي ستقضيها في الاستعداد والتهيؤ لها؟ وكم هي الأوقات التي ستخصص في أدائها؟

لقد خلق الله العباد وهو أعلم بشؤونهم وبما يصلحهم وما يحتاجون إليه، فجعل فرض الصلاة بهذا العدد في أول الأمر في مقدور الإنسان، ومناسبا لحياته وأشغاله، وملبيا

---

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٤٨٢.

لاحتياجاته، والله بحوله وقوته سيعين العبد على أداء هذا العدد من الصلوات، وسيكفي عباده مؤونة الحياة وأعباءها ومشاقها، ومع ذلك خففت لخمس صلـوات، ولا حول ولا قوة لنا في إقامتها والمحافظة عليها إن لم يكن لنا من الله عون ومدد، ولذا شرع لنا أن نقول لا حول ولا قوة إلا بالله، حين ينادي المؤذن للصلاة قائلاً: حي على الصلاة، حي على الفلاح، فنحن بحاجة دائمة إلى عون الله وتوفيقه على إقامتها.

وإن مما ينبغي على المصلي ألّا يخشى فوات رزقه، أو يخاف انقطاع عمله وشغله، أو تعطل أموره بسبب أداء الصلاة على وقتها، وعند سماع النداء إليها، لأن الله تعالى قال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾، ثـم قال الله تعالـى: ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ [طه: ١٣٢]، فالصلاة مصدر الرزق، وسبب سعته، وسبيل البركة في الأوقات والأعمال، والانشغال في الأعمال والانهماك في الحيـاة وطلب الـرزق لا ينبغـي أن يكون سـببا لتركها، أو التكاسـل عنها، أو تأخيرها عن وقتها. ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾، أي لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك، فتفرغ أنت وأهلك للصلاة فنحن نرزقك، وكان بعض السلف إذا أصاب أهله خصاصة قال: قوموا فصلوا بهذا أمركم الله، ويتلو هذه الآية[١].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، (١٧/٢).

ولما كان أطول وقت بين صلاتين هما بعد صلاة العشاء إلى صلاة الفجر، وبعد صلاة الفجر إلى صلاة الظهر، شرع لنا فيهما من الصلوات التي تعْمُر قلب العبد، وتجعله دائم الصلة بربه تعالى، حتى لا يصيبه طول الوقت والبعد الغفلة والقسوة.

فشرع لنا بين العشـــاء والفجر صلاة الليل وطول القيام، يصلي فيها المؤمن ما كتب له، قـــال ﷺ: «صلاة الليل مثنى مثنى»[1]، ووصف الله تعالى أهل الإيمان أنهم يقومون الليل، كما قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]، ووصفهم الله تعالى بإحياء الليل بالصلاة فـــي قولـــه تعالـــى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤]، ووصف الله تعالى عباده المتقين بحظهم من الليل والصلاة فيه أكثر من نومهم وراحتهم، قال تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريـــات: ١٧ ـ ١٨]، فكان نومهم من الليل قليلا، لأن الله تبـــارك وتعالى وصفهم بذلك مدحا لهـــم، وأثنى عليهم به، فوصفهـــم بكثرة العمل،

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٩٩٣، ومسلم، حديث رقم: ٧٤٩.

وســهر الليل، ومكابدته فيما يقربهم منه ويرضيــه عنهم[١]، فعمارة الليل بالصلاة والقرب من الله تعالى ومناجاته هو دأب الصالحين وعادتهم وشأنهم، قال ﷺ: «عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم»[٢].

وأما الوقت الآخــر في الطول بين صلاتيــن؛ بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، فقد شرع فيه صلاة الضحى، تلك الصلاة التي كان يصليها رســول الله ﷺ، وهي ســنة من سننه، تقول عائشة رضي الله عنها، «كان رسول ﷺ يصلي الضحى أربعا، ويزيد ما شاء الله»[٣]، ووصف ﷺ مــن يجعل له حظ مــن الصلاة في هذا الوقت بأنه من الأوابين المطيعين الراجعين إلى الله، قال ﷺ: «صلاة الأوابين حين تَرْمَضُ الفِصَال[٤]»[٥].

ولأهمية الوقوف بين يــدي الله وحاجة العبد لربه وعدم انقطاعه ســائر أوقات اليــوم والليلة وصّى رســول الله ﷺ

(١) تفسير الطبري، (٢٢/٤١٢).
(٢) أخرجه الترمذي، حديث رقم: ٣٥٤٩، وحسنه الألباني.
(٣) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٧١٩.
(٤) ترمض الفصال، أي: تشتد الشمس على صغار الإبل.
(٥) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٧٤٨.

أبا هريرة بالمحافظة على الصلاة في هذيـــن الوقتين، حتى لا تطول الغفلة، ويبقى المؤمـــن دائم الصلة بربه جل وعلا، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت: «صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام»[1].

❀❀❀

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ١٩٨١واللفظ له، ومسلم، حديث رقم: ٧٢١.

والصلاة نور..

من أجمل الأوصاف لأثر الصلاة على الفرد في نفسه وأفعاله وسائر حياته وفي سائر حياته الوصف النبوي، حين ذكر رسول الله ﷺ الصلاة قال: «والصلاة نور»[(١)]، والمعنى أن الصلاة تمنع من المعاصي وتنهى عن الفحشاء والمنكر، وتهدي إلى الصواب، كما أن النور يستضاء به، وقيل معناه أنه يكون أجرها نورا لصاحبها يوم القيامة، وقيل لأنها سبب لإشراق أنوار المعارف وانشراح القلب ومكاشفات الحقائق، لفراغ القلب فيها وإقباله إلى الله تعالى بظاهره وباطنه، وقيل معناه أنها تكون نورا ظاهرا على وجهه يوم القيامة، ويكون في الدنيا أيضا على وجهه البهاء بخلاف من لم يصل والله أعلم[(٢)].

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٢٢٣.
(٢) المنهاج شرح مسلم للنووي، (١٠١/٣).

وإنك تجد أكثـــر الناس نوراً في الوجـــوه أكثرهم صلاة وأخشعهم فيها لله عَزَّوَجَلَّ[(١)]، «فالصلاة نور في القلب، ونور في الوجه، ونور في القبر، ونور في الحشر، لأن الحديث مطلق، وجرّب تجــد، إذا صلّيت الصلاة الحقيقيــة التي يحضر بها قلبك، وتخشــع جوارحك، تحس بأن قلبك اســتنار، وتلتذّ بذلك غاية الالتذاذ»[(٢)].

والإنسان في هذه الدنيا بحاجة إلى نور ينير طريقه ومسالكه، وإلى ضياء يستضيء به في مسيرته إلى الله تعالى، وأنوار تظهر له يوم القيامة، والصلاة أعظم الأنوار التي تنير لصاحبها الطريق، وتوصله إلى رضوان الله، وتبعده عن غياهب الظلمات، فباتصال العبد بربه ومولاه في صلاته وإكثاره منها يستمد النور.

والعبــد في هــذه الدنيا لا ينفــك عن مخالطــة الناس، ومكابدته للمــال والأهل والولد، وبقدر اســتغراقه في اللهو واللعب وعراكه في الدنيا واشتغاله بالحياة يقع في الشهوات والزلل، ويرتكب الخطأ، ويحصل منه التجاوز، فيقســو قلبُه

---

(١) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، (١/١٩٠).

(٢) شرح الأربعين النووية لابن عثيمين، (١/٢٢٢).

وتصيبه الغفلة وتحصل الظلمة، فتأتي الصلوات الخمس تُعيده إلى الاتصال بالله في نهاره وليله، فتنير وجهه ودربه، وتهدي قلبه، وتضبط حياته وسائر أموره، وتجدد إيمانه، وتمنعه من الوقوع في المعاصي والفواحش والمنكرات.

لا يكاد العبد تصيبه ظلمة وغفلة وقسوة وبُعدٌ إلا أتت الصلاة تردّه إلى ربه وملاه، ولا يكاد النور الذي استمده من الصلاة يخفت حتى تأتي الصلاة التي تليها تمده بالنور، فتلك هي الصلاة نور وهداية وانشراح، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ «ولما كانت الجدوب متتابعة وقحط النفوس متواليا، جدد لها الدعوة إلى هذه المأدبة وقتا بعد وقت رحمة منه به، فلا يزال مستسقيا مِمن بيده غيث القلوب وسقيها، مستمطرا سحائب رحمته؛ لئلا ييبس ما انبتته له تلك من كلأ الإيمان وعشبه وثماره؛ ولئلّا تنقطع مادة النبات والقلب في استسقاء واستمطار، هكذا دائما يشكو إلى ربه جدبه وقحطه وضرورته إلى سقيا رحمته، وغيث بره فهذا دأب العبد أيام حياته»(١).

طبيعة الحياة الدنيا وكبدها وحاجاتها تشغل عن المبادرة إلى الصلاة، وتزاحم التبكير إليها، ولكنّ الشأن كل الشأن في

(١) الكلام على مسألة السماع، (١١١).

المبادرة وسرعة الإنابة والأوبة واستمداد النور، وأداء الصلاة الفائتة حين يذكرها، حتى لا يذهب النور، وتحل الغفلة والقسوة، قال ﷺ: «من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك»[(١)]، يأتي بالصلاة الفائتة ليبقى في نور دائم، وضياء لا ينقطع، يستمده من صلته بربه تعالى خمس مرات كل يوم، حين يقف بين يديه.

الصلاة نور في ذاتها، ومع ذلك يطلب المصلي من الله في سجوده أن يستزيده نورا، ليزداد في أفعاله وتصرفاته وجميع حياته نورًا على نور، كان ﷺ يدعوا في صلاته ويقول: «اللهم اجعل في قلبي نورا، وفي بصري نورا، وفي سمعي نورا، وعن يميني نورا، وعن يساري نورا، وفوقي نورا، وتحتي نورا، وأمامي نورا، وخلفي نورا، واجعل لي نورا»[(٢)]، وسؤال النور في جميع أعضائه وجسمه وتصرفاته وتقلباته وحالاته وجملته في جهاته الست، المراد به بيان الحق وضياؤه والهداية إليه، حتى لا يزيغ شيء منها.[(٣)]

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٥٩٧، مسلم، حديث رقم: ٦٨٤.
(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٦٣١٦، مسلم، حديث رقم: ٧٦٣.
(٣) المنهاج شرح مسلم للنووي، (٤٥/٦).

وإذا استنار العبد في الدنيا بصلاته لله تعالى ودعائه وقربه منه، فليبشر بالنور التام من الله تعالى في قبره، وحشره، وعلى الصراط، وفي ظلمات يوم القيامة، لما ذكر ﷺ الصلاة قال عنها: «من حافظ عليها، كانت له نورا، وبرهانا، ونجاة يوم القيامة»[١]، وقال ﷺ: «بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»[٢].

أما إذا ابتعد العبد عن الاتصال بالله، وفرط في أداء الصلاة، وتكاسل عن القيام لها، فسيلحقه من الظلمات والحيرة بقدر ما فرط وتكاسل، قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

❀❀❀

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: ٦٥٧٦، والدارمي، حديث رقم: ٢٧٦٣، وابن حبان، حديث رقم: ١٤٦٧، وقال الألباني إسناده حسن.

(٢) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٥٦١، والترمذي، حديث رقم: ٢٢٣، وابن ماجه، حديث رقم: ٧٨٢، وصححه الألباني.

ورثة الفردوس..

جعل الله ﷻ جنتَه التي هيأها لعباده درجات، وجعل أفضل الدرجات فيها وأعلاها جنة الفردوس، وصفها رسول الله ﷺ بقوله: «فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة[١]»، وجنة الفردوس مأوى نبينا ﷺ، قالت فاطمة رضي الله عنها وهي تنعي أباها محمد ﷺ، «يا أبتاه، مَنْ جنة الفردوس، مأواه»[٢].

وسكنى هذه المنزلة الرفيعة من الجنة لا يبلغها أهلها إلا بفضل الله وبرحمته سبحانه، ثم بأعمالٍ صالحة يقومون بها، ولما ذكر ﷻ في كتابه الكريم عباده المؤمنين المفلحين الذين يستحقون هذه المنزلة الرفيعة، أخبرنا في مطلع سورة المؤمنين عن صفاتهم وأعمالهم، وذكر الله تعالى ست صفات لهم، كما قال جل وعلا: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٧٤٢٣.

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٤٤٦٢.

لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ
أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ
فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٨
وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ
يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١].

والمتأمل لهذه الصفات يجدها بدأت وختمت بما يتعلق بأمر الصلاة؛ في الخشوع فيها والمحافظة عليها، ما يدل على أهمية الصلاة وفضلها ومنزلتها، قال رسول الله ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة»[1].

والآيات السابقة جمعت أعمالا وأوصافا يقوم بها المصلي في صلاته، بدأت بعمل القلب وهو الخشوع فيها، ومحله القلب، وتظهر آثاره على الجوارح، لذا فإن خشوع المصلي وسكون جوارحه دليل على ما في قلبه من الإيمان بالله والتعظيم لقدر الصلاة، واستفتاح صفات المؤمنين بالخشوع لمكانته وشأنه، فالمؤمنون ورثة الفردوس صفتهم أنهم في صلاتهم خاشعون، مقبلون عليها، متذللون لله تعالى خاضعون.

---

(١) أخرجه ابن ماجه، حديث رقم: ٢٧٦، وأحمد، حديث رقم: ٢٢٤٣٦، وصححه الألباني.

ومنزلة الخشــوع في الصــلاة لا تتأتّى بمجــرد العلم بأحكام الصلاة وفقه شــروطها وأركانها وواجباتها وسننها وما يلحق بها، إنما هي أمر زائد عــن ذلك، بالمعرفة بالله تعالى وأســمائه وصفاته، وإدراك عظمة الموقف وجلالته، واستشعار قدر الصلاة ومكانتها، وكلما كان المصلي أعرف بالله تعالى كان له أخشع، وأصبح لربه متواضعا، وبين يديه ذليلا، ومن كان هذا حاله فإن شوقه إلى لله تعالى والوقوف بين يديه يزداد، فيســهل إقامة الصلاة وتخف عليه، يقول تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، ثم أخبر ﷻ عن ســبب خشوعهم في صلاتهم بقولــه تعالــى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦]، فيقينهــم بملاقاة الله تعالى ورجوعهم إليــه، والوقــوف بيــن يديــه، ومجازاته علــى أعمالهم، ومحاسبتهم وخوفهم من ذلك، أورثهم خشوعا في صلاتهم.

ومن أسباب خفة الصلاة وسهولتها على الخاشعين، أنهم يستغرقون في مناجاة ربِّهم، فلا يُدركون ما يجري عليهم من المشاقِّ والمتاعب[(١)].

---

(١) تفسير أبي السعود، (٩٨/١).

يقول عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «أول علم يرفع من الناس الخشوع، يوشك أن تدخل مسجد جماعة، فلا ترى فيه رجلا خاشعا»[(١)]، يعني بذلك العلم الذي ثمرته في قلب الإنسان، وهو العلم بالله تعالى، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله المقتضية لخشيته، ومهابته، وإجلاله، والخضوع له، ومحبته، ورجائه، ودعائه، والتوكل عليه، ونحو ذلك.[(٢)]

ولما كانت الصلاة سهلة على الخاشعين خفيفة عليهم، فهي شاقة على المنافقين، يثقل عليهم أداؤها، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، وأما أهل الإيمان بالله فهم كما قال ابن عمر رضي الله عنهما، كانوا إذا قاموا في الصلاة اقبلوا على صلاتهم، وخفضوا أبصارهم إلى موضع سجودهم، وعلموا أن الله يقبل عليهم فلا يلتفتون يمينا ولا شمالا.[(٣)]

والصفة الأخرى للمؤمنين الوارثين الفردوس أنهم يحافظون على صلواتهم الخمس ويداومون عليها، وتشمل

(١) أخرجه الترمذي، حديث رقم: ٢٦٥٣، وأحمد، حديث رقم: ٢٣٩٩٠، وصححه الألباني.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب، (٢٩٩/٢).

(٣) الدر المنثور، (٨٤/٦).

المحافظة عليها إتمام أركانها، وشروطها، وسننها، وفعلها في أوقاتها في الجماعات في المساجد[١].

وذِكرُ صفات المؤمنين وسبب سعادتهم وفوزهم بالفردوس حثُّ من الله تعالى لعباده المؤمنين، وترغيب لهم في الالتزام والمداومة على الخشوع، والمحافظة على الصلاة، يقول ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فمدحهم بالخشوع بالصلاة، وبالمحافظة عليها، لأنه لا يتم أمرهم إلا بالأمرين، فمن يداوم على الصلاة من غير خشوع، أو على الخشوع من دون محافظة عليها، فإنه مذموم ناقص[٢].

وبمحافظة العبد على الصلاة وخشوعه فيها يزداد إيمانا، ويحصل له الفلاح، ويفوز بجنة الفردوس.

❀❀❀

(١) أضواء البيان، (٣٢٠/٥).

(٢) تفسير ابن سعدي، (٥٤٧/١).



الفصـل الثاني

«الاستعداد للصلاة»

- شطر الصلاة.
- طهارة الفم.
- خذوا زينتكم.
- بسكينة ووقار.
- ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾.
- ﴿كتابا موقوتا﴾.
- حي على الصلاة.
- التهجير.
- استتار المصلي.
- تسوية الصفوف.

شطر الصلاة..

الوقوف أمام السـادة والكبراء في الدنيا يكتنفه بعض المراسـم، والآداب التـي ترسـمها الأنظمـة والعادات والأعـراف، يجتمع فيها الاحتـرام والتقديـر، والتبجيل للموقوف له، وحال من يريد مقابلة من له شأن ومنزلة في الدنيا أن يتجمل له ويتزين ويتنظف ويتطيب، ولا يليق أن يقف أمامه متسخ الأيدي والثياب، أو بحالة رثّة، وملابس مهترئـة، ورائحة كريهة، بـل تجده يتكلف فـي التجمل والتزين والظهور بأبهى حلة، وإن لم يكن عنده ما يتجمل به استدان أو استعار ما يلبسه، وهذه لمقابلة من ساد مكانه وعظم شأنه من البشر، والله ﷻ أحق من يجلّ ويوقر، وأولى من يعظم سـبحانه وتقدس، فالوقوف بين يديه ليس كأي موقف يقفه العبد، والأحكام والآداب المشروعة قبل لقائه أعلى وأجل وأكمل.

ولأجل عظمة الموقف جعل النبي ﷺ الطهارة شرطا من

شـــروط الصلاة، قال ﷺ: «لا صـــلاة لِمن لا وُضـــوء له»[(١)]، وعدّ ﷺ الطهـــارةَ نصف الصـــلاة، قال ﷺ: «الطَهور شـــطر الإيمان»[(٢)]، والمراد بالإيمـــان هنا الصلاة، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي: صلاتكم، فالطهارة شرط في صحة الصلاة، فصارت كالشطر، وليس يلزم في الشـــطر أن يكون نصفـــا حقيقيا[(٣)]، فلا ينبغـــي لمن يريد الوقوف بين يدي الله إلّا وهو على طهارة، حتى ذكر بعض أهل العلم أن الوضوء لكل صلاة سُنّة، جاء عن ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أن الخلفاء كانوا يتوضؤون لكل صلاة.[(٤)]

شرع الله لنا حين نريد الاتصال به والوقوف بين يديه أموراً تليق بالموقف، وتناســـب المقام، فأمرنا بالطهـــارة الكاملة، والنظافة الشاملة، وأخذ الزينة، وذلك تعظيم للرب تعالى في المقام الأول، وتعظيم لقدر الصلاة، فالمصلي حين يقف بين يدي ربه ومولاه عليه التطهر والتنظف بجميع أشكاله وألوانه؛

---

(١) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ١٠١، وابن ماجه، حديث رقم: ٣٩٨، وأحمد، حديث رقم: ٩٤١٨، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٢٢٣.

(٣) شرح النووي على مسلم (٣/١٠٠).

(٤) تفسير الطبري (١٠/١٣).

طهارة شاملة من الحدث الأكبر، ومن الحدث الأصغر، وطهارة اللباس، وطهارة في المكان، حتى يصبح الواقف بين يدي الله تعالى كأجمل وأطهر ما ينبغي أن يكون عليه.

لا ينبغي لمن كانت عليه جنابة أن يقف بين يدي ربه، ولا يليق بحاله أن يتصل بربه خالقه وهو على تلك الهيئة، بل لا ينبغي له الجلوس في المساجد والبقاء فيها، فضلاً أن يركع ويسجد ويتلو القرآن، حتى يغتسل ويتطهر، قال الله تعالى: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟﴾ [النساء: ٤٣].

لو تأملنا شأن الطهارة، ونظرنا دقائق الوُضوء ومواضعه، وصفته الكاملة التي جاءت عن نبينا ﷺ لوجدنا عجباً، تأمل مثلا المضمضة والاستنشاق، لا يكتمل الوضوء إلا بهما، فهي ليست غسل الظاهر من البدن فحسب، بل أجزاء باطنة اهتم الشرع واعتنى بطهارتها، ما يدل على أهمية الطهارة الكاملة عند الوقوف بين يدي الله تعالى.

ومن دقائق الوضوء مسح خلف الأذن بالإبهام أثناء مسح الرأس، ذلك الموضع الذي قد تجتمع فيه الأوساخ والروائح ولا ينتبه له، وتأمل أيضا تخليل اللحية والأصابع، وتحريك الخاتم، والعناية بغسل الأعقاب والمرافق، فلم يكن الوضوء

غســلا لما يظهر من الأعضاء كالوجه واليدين والرجلين، بل شمل غسل مواضع دقيقة غير ظاهرة، غسل ونظافة يتكرر كل يوم خمس مرات، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن رجلا توضأ فترك موضع ظفر على قدمه فأبصره النبــي ﷺ فقال: «ارجع فأحسن وضوءك» فرجع، ثم صلى[1]، فأعاد الرجل وضوءه بأمر النبي ﷺ لأجــل موضع لم يصبه الماء، وهــو موضع لا يراه الناس، إلّا من دقّق النظر.

تأمل عناية الإسلام بغسل البراجم وتنظيفها، وهي العُقَد التي تكون في ظهور الأصابع، مواضع صغيرة لا يلتفت إليها تكون مجمعا للوسخ الذي لا يُرى، حث ﷺ على غسلها[2]، كل ذلك التطهر وتلك العناية من الشرع لأجل الوقوف بين يدي الله تعالى، جاء عــن لَقيط بن صَبِــرة، عن أبيــه، قال: قلت يا رسول الله، أخبرني عن الوضوء؟ قال: أسبغ الوضوء، وخلل بين الأصابع، وبالغ في الاستنشاق، إلا أن تكون صائما»[3].

---

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٢٤٣.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٦١.

(٣) أخرجه أبــو داود، حديث رقــم: ١٤٢، والترمذي، حديــث رقم: ٧٨٨، والنسائي، حديث رقم: ٨٧، وابن ماجه، حديث رقم: ٤٠٧.

ولشأن الوضوء تولى الله تعالى بنفســه بيانه وكيفيته في كتابه، كما في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُ﴾ [المائدة: ٦].

ومن الطهارة التي ينبغي أن تكون قبل الوقوف بين يدي الله تعالى طهارة المكان، وقد جعل سبحانه وتعالى للصلاة أماكن مخصصة هي بيوت الله، قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا﴾ [النور: ٣٦]، فأمر أن تبنى المساجد ويعلو قدرها وبناؤها، كما أمرنا بالعناية بطهارتها وصونهــا والمداومة على نظافتها وتطييبها، فهي خير الأماكن وأشرفها.

المساجد ليست كأي مكان، إنما هي بيوت الله، أضيفت إلى الله إضافة تشريف وتكريم، كما في قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: ١٨]، وفــي قولــه تعالــى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٨]، ومِن شــرفها أن خصها الله للعبــادة والذكر وإقام الصلاة، ومنع فيها أمور الدنيا كالبيع والشراء، ونشد الضالة.

جاء عن عائشـــة رضي الله عنها، أنها قالت، أمر رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور، وأن تنظف وتطيب[١]، والدور هي الأحياء والقبائل والقــرى، وقيل المراد اتخاذ بيــت في الدار للصلاة كالمسجد يصلي فيه أهل البيت، قال ابن رجب رحمه الله: وقد كان من عادة الســلف أن يتخذوا في بيوتهم أماكن معدة للصلاة فيها، وهذه المســاجد لا يثبت لها شيء من أحكام المساجد، وبكل حال، فينبغي أن تحترم هــذه البقاع المعدة للصلاة من البيوت، وتنظف وتطهر، وقال سفيان الثوري في المساجد التي تبنى في البيوت: ترفع ولا تشرف، وتفرغ للصلاة، ولا تجعل فيها شيئا[٢].

أتى موسى عليه السلام الوادي المقدس طوى، وأراد الله أن يكلمه ويناجيه، قال الله تبارك وتعالى له: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ [طه: ١٢]، فأمره ســبحانه بنزع نعليه اســتعداداً لمناجاة الله تعالى، جاء عن قتادة، في قوله: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ قال: كانتا من جلد حمار، فقيل له اخلعهما[٣]، وقيل:

(١) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٤٥٥، والترمذي، حديث رقم: ٥٩٦، وابن ماجه، حديث رقم: ٧٥٩، وأحمد، حديث رقم: ٢٦٣٨٦.
(٢) فتح الباري لابن رجب، (١٦٩/٣).
(٣) تفسير الطبري (٢٧٨/١٨).

إنما أمره بخلع نعليه تعظيما للبقعة، وقال سعيد بن جبير: كما يؤمر الرجل أن يخلع نعليه إذا أراد أن يدخل الكعبة[١]، ويقول ابن عطية في تفسيره، إن الآية تحتمل معنى آخر هو الأليق بها عندي، وذلك أن الله تعالى أمره أن يتواضع لعظم الحال التي حصل فيها، والعرف عند الملوك أن تخلع النعلان، ويبلغ الإنسان إلى غاية تواضعه، فكأن موسى عليه السلام أمر بذلك على هذا الوجه، ولا نبالي كانت نعلاه من ميتة أو غيرها.[٢]

ولأهمية طهارة المكان قبل الوقوف بين يدي الله تعالى، أمر الله نبيه إبراهيم عليه السلام بتطهير بيوت الله من الأنجاس والأدناس، قال تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦]، ولقد أعلى ﷺ شأن من يقوم بخدمة المساجد وتنظيفها والعناية بها، ومن ذلك قصة المرأة التي كانت تقم المسجد[٣]، وتكْنس مسجد رسول الله ﷺ، فتزيل القمامة والأوساخ منه، و«كانت تلتقط الخرق والعيدان من المسجد»[٤]، فمن عنايته ﷺ بالمساجد سأل عنها حين فقدها،

(١) تفسير ابن كثير (٢٧٦/٥).

(٢) تفسير ابن عطية (٣٩/٤).

(٣) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٤٦٠، ومسلم، حديث رقم: ٩٥٦.

(٤) صحيح ابن خزيمة، حديث رقم: ١٣٠٠، قال الألباني: إسناده حسن.

ولم يجد أثرها، فلما سأل عنها قالوا: ماتت، فالصحابة رضوان الله عليهم تقديرا للنبي ﷺ لم يوقظوه ليلا لأجل الصلاة عليها، و«كأنهم صغروا أمرها»، فلم يخبروه ﷺ بموتها، لكن رسول الله ﷺ أتى قبرها، فصلى عليها، اهتماما لعملها وتقديرا لخدمتها، وما تقوم به.

فالوقوف بين يدي الله ومناجاته موقف عظيم، ينبغي للواقف بين يدي ربه أن يعتني بالطهارة ما استطاع لذلك، سواء في بدنه أو ملبسه أو مكانه كما أمر الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١].

ومن شمول الطهارة وكمالها أن تعم الطهارة الظاهر والباطن، وطهارة الباطن وجمال القلب أعظم الطهارة، فتكمل الطهارة بالتوبة من الذنوب والآثام، والطهارة من الشرك والنفاق والرياء، تأمل الدعاء بعد الفراغ من الوضوء تجده شمل طهارة القلب من الذنوب والمعاصي والآثام بعد أن طهرت الأعضاء، قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ ـ أو فيسبغ ـ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبد الله ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء».(١)

---

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٢٣٤.

ويكفي في أهمية الطهارتين؛ الطهارة من الذنوب والمعاصي، وطهارة الأعضاء، أن الله جمع بينهما، وأوجب محبته للمتصف بهما، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ولأهمية الطهارة من الذنوب والآثام، بدأ جل وعلا ذكر طهارة الباطن وقدمها على طهارة الظاهر في الآية الكريمة.

❀❀❀

طهارة الفم..

من منّــة الله علينا أن وفقنــا للوقوف بين يديــه، وأكرمنا بمناجاته ودعائه، ويسر لنا تلاوة كلامه، والمصلي حين يناجي الله، ويتلو كلامه، ينبغي له أن ينقّي محل الذكر، ويطهر مخرج النطق، لذا أوجب الشرع على المتوضئ مضمضة الفم مخرج الذكر والدعاء وتلاوة القرآن.

وطهاة الفم ونقاؤه مما حث عليه الشــرع، والسواك مما يطهره ويطيب نكهته، قال ﷺ «السـواك مطهرة للفم، مرضاة للرب»[(١)]، ومن عناية ﷺ بأمر السواك وطهارة محل الذكر كان يوصى أصحابه كثيرا بالسـواك، حتى قــال مرة ﷺ: «أكثرت عليكم في السواك»[(٢)]، بل رغّب ﷺ في التسوّك في كل وقت وحين، وهو عند كل صلاة آكد وألزم، قال ﷺ: «لولا أن أشق

(١) أخرجه البخاري معلقًا، باب سواك الرطب واليابس للصائم.
(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٨٨٨.

على أمتي لأمرتهم بالســواك مع كل صلاة»(١)، وإنما أكد ﷺ السـواك عند الصلاة لمناجـاة الله، ولتلقـى الملائكة لتلك المناجاة، فلزم تطهير النكهة، وتطييب الفم(٢)، جاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قـال: «إن أفواهكـم طرق للقـرآن، فطيبوها بالسواك»(٣)، فكان من تهيؤ النبي ﷺ للصلاة، ومن الاستعداد لمناجاة الله وتلاوة كلامه التسـوك عند كل صلاة، حتى يطهر فمه، ويرضي ربه.

ومن شدة حرصه ﷺ على طهارة فهمه وطيب نكهته امتنع عن أكل بعض المباحات، مما له رائحة غير مستحسنة، فمرة أُتي بِقِدْر فيه خَضِرَات من بُقُول، فوجد لها ريحا، فسأل، فأخبر بما فيها من البقول، فقال: «قربوها» إلى بعض أصحابه، فلما رآه كره أكلها، قـال: «كُلْ فإِنّي أُناجي مـن لا تناجي»(٤)، لذا لا يليق بمن يقف بين يدي ربه، يناجيه ويتلو كلامه، ويدعوه ويذكره، ومحلُ الذكر وطريق القرآن رائحته غير مستحسنة، أو كريهة، أو خبيثة.

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٨٨٧، ومسلم، حديث رقم: ٢٥٢.
(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢/٤٨٦).
(٣) أخرجه ابن ماجه، حديث رقم: ٢٩١، وصححه الألباني.
(٤) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٧٣٥٩، مسلم، حديث رقم: ٥٦٤.

كم هي النصوص التي جاءت آمرة بإتيان المساجد وإقامة ذكر الله والصلاة فيها، لكن حين تخْبث الرائحة وتنبعث روائح الفم الكريهة، فإن الصلاة في البيت واعتزال بيوت الله خير من أذية أهل المساجد؛ من الملائكة وبني آدم، قال ﷺ: «من أكل ثوما أو بصلا، فليعتزلنا ـ أو قال: فليعتزل مسجدنا ـ وليقعد في بيته»[1].

فتطييب رائحة الفم أليـق بمناجاة الـرب تعالى ودعائه وتلاوة كلامه، وأكمل أدبا عند لقاء ملائكة الرحمن التي تنزل بيوت الله، «فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»[2]، وهو أدب وتقدير للمؤمنين الذين يرتادون بيوت الله، ويجتمعون فيه.

❀❀❀

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٨٥٥، مسلم حديث رقم: ٥٦٤.

(٢) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٥٦٤.

خذوا زينتكم..

التزين عند الخروج للمساجد، وعند الوقوف بين يدي الله، دليل تعظيم الله تعالى، وعلامة إجلال العبد ربه، واستشعار لمعرفة الموقوف له، فالمقام بين يدي الله يقتضي من العبد أن يقف بين يديه بأحسن ثيابه وأجملها، وأن يتزين ويتطيب ويستاك استعداد للوقوف والمناجاة، فعلى من عظّم قدر الصلاة، وأجل الموقف واللقاء، أن يختار من اللباس أحسنه، ومن الزينة أجملها.

ولكل مقام وحال لباسه؛ فللعمل لباسه، وللنوم لباسه وللعب لباسه، وللمناسبات والاحتفالات لباس، والصلاة أعظم مناسبة، والقيام بين يدي الله تعالى أعظم مقام، ومما يتساهل فيه بعض المصلين أخذ الزينة للصلاة، فيصلى بلباس مبتذل، وربما يلبس ثياب النوم أو اللعب، بل ترى أحيانا لباسا يكشف العورة ولا يسترها، تلك الثياب التي يستحيل منه ارتداؤها في المناسبات الاجتماعية والمواقف الرسمية، فضلا عن ارتدائها

أمام أصحاب الشأن والمكانة، فكما أنه لا ينبغي أن تلبس ملابس النوم والرياضة والملابس القصيرة وغيرها عند ملوك الدنيا وكبرائها، فلا ينبغي للمصلي ارتداؤها حال وقوفه بين يدي الله، والله أعلى وأجل وأكبر من كل أحد، وهو أحق بالتوقير والتعظيم.

لماذا يتكلف أحدنا في اللباس والزينة والتجمل عند مقابلة من له شأن ومكانة بين الناس؟ أليس القيام لله تعالى والوقوف بين يديه أحق بذلك؟ إن التجمل في الدنيا لا يعاب عليه العبد، قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»[(١)]، إنما الخلل والخطأ في التكلف والتزين لأهل الدنيا ولمناسباتها، والتقصير والتساهل عند حضور الصلاة وإتيان المساجد والقيام لله تعالى، قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الصلاة في الثوب الحسن غير مكروه، إلا أنْ يُخشى منه الالتهاء عن الصلاة أو حدوث الكِبْر، ولم يزل علماء السلف يلبسون الثياب الحسنة، ولا يعدون ذلك كبرا[(٢)]، وجاء عن نافع قال:

---

(١) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٤٠٦٣، والنسائي، حديث رقم: ٥٢٢٤، والترمذي، حديث رقم: ٢٨١٩ واللفظ له، وأحمد، حديث رقم: ٨١٠٧.

(٢) فتح الباري، (٢/٤٢٣).

رآني ابن عمر رضي الله عنهما وأنا أصلي في ثوب واحد، فقال: ألم أكن أكسك ثوبين؟ قال: قلت: بلى. قال: أرأيت لو أرسلتك في حاجة أكنت منطلقا في ثوب واحد؟ قلت: لا، قال: فالله أحق أن تزين له[1]، وكان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة فما يعجبه إلا الثياب النقية والريح الطيبة[2]، فالوافد إلى مالك الملك أولي وأحرى بالتجمل والتزين، وبالتطيب ولبس أحسن الثياب عند لقائه.

إن تعظيمَ الله تعالى وتعظيم قدر الصلاة، يجعل المصلي يقف مستشعرا أنه يناجي الله تعالى، فيتزينَ في لباسه، ويتجمل عند الوقوف له، حتى لو صلى في بيته، أو صلى منفردا لا يراه أحد، فالتزين ليس من أجل الناس، إنما لجلالة الموقف وعظمته، ومَن أَجَلّ الوقوف بين يدي الله فسيلبس أحسن ثيابه، وينتقِ أجملها، ويتزين بين يدي خالقه.

والمرأة حين تصلي في بيتها ينبغي لها أن تستر بدنها، وتغطي شعرها لأجل حق الله تعالى، ولو لم يرها الأجانب،

---

(١) أخرجه ابن خزيمة، حديث رقم: ٧٦٦، والطحاوي في شرح معاني الاثار حديث رقم: ٢٢١٤، والبزار، حديث رقم: ٥٩٠٢، والطبراني في الأوسط، حديث رقم: ٩٣٦٨، وصححه الألباني.

(٢) المراسيل لأبي داود، حديث رقم: ٢٩.

فمن كمال التوقير والأدب مع الله أخذ المرأة زينتها، وأن تقف بين يدي الله تعالى بلباس وهيئة فيها زينة ووقار وحشمة.

أرشد سبحانه عباده لأخذ الزينة للصلاة بقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١]، يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولهذه الآية وما ورد في معناها من السنة، يستحب التجمل عند الصَّلاة، ولاسيما يوم الجمعة ويوم العيد، والطيب؛ لأنَّه من الزينة، والسواك؛ لأنَّه من تمام ذلك، ومن أفضل اللباس البياض، قال ﷺ: «البسوا من ثيابكم البياض، فإنها من خير ثيابكم»[(١)][(٢)]، وبمقدار تعظيم الله تعالى في القلب يكون مقدار التزين للصلاة والتجمل لها.

لما كان بعض أهل الجاهلية يطوفون بالبيت الحرام عراة، وحرّموا زينة الله عليهم أبطل عادتهم، وأنزل الله تعالى ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾، وأذن مؤذن رسول الله ﷺ: أَلَا لَا يطوف بالبيت عريان[(٣)]، فكان ستر العورة من شروط الصلاة.

---

(١) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٤٠٦١، والترمذي، حديث رقم: ٩٩٤، والنسائي، حديث رقم: ٥٣٢٣، وابن ماجه، حديث رقم: ١٤٧٢، وأحمد، حديث رقم: ٢٢١٩.

(٢) تفسير ابن كثير، (٦٠٤/٣).

(٣) تفسير القرطبي، (١٨٩/٧).

وخطاب الله لنا في الآية أكثر من ستر العورة وتغطيتها، فإنه يشـــمل اللباس الجميل والتزين كما هو تعبير القرآن الكريم، ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾، والزينة هو كل ما يتزيـــن ويتجمل به، يقول ابن عباس رضي الله عنهما في الزينـــة: اللباس، وهو ما يواري الســـوءة، وما سوى ذلك من جيِّد البزِّ[١] والمتاع[٢].

❀❀❀

(١) البَز، هي الثياب، كما في لسان العرب (٣١١/٥).

(٢) تفسير الطبري، (٣٩١/١٢).

بسكينة ووقار..

السكينة والوقار خلقان يتحلى بهما الوافد إلى ربه تعالى، القادم إلى بيت من بيوته، أرشد إلى التحلي بهما النبي ﷺ، قال ﷺ: «إذا سمعتم الإقامة، فامشوا إلى الصلاة وعليكم بالسكينة والوقار، ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا»(١)، هذا أمر من النبي ﷺ بلزوم السكينة، والتحلي بالوقار، وعدم الإسراع والعجلة.

وجمع ﷺ بين السكينة والوقار من باب التأكيد على التحلي بكامل الأدب والخلق حين الذهاب للمساجد، وقيل إن السكينة هي التأني في الحركات، والوقار يكون في الهيئة وغض البصر وخفض الصوت، وأن يُقْبِل على طريقه بغير التفات(٢).

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: ٦٣٦، واللفظ له، مسلم، حديث رقم: ٦٠٢.
(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٤٠٥/٦).

واجتماع الخلقين في المصلي حال ذهابه إلى المساجد، يدل على جلالة من نفذُ إليه وهو العلي سبحانه، وعلى قدر الصلاة وعلو شأنها، وبيّن ﷺ الحِكمة من ذلك، بأن الماشي إلى الصلاة هو في صلاة، كما قال ﷺ: «فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة»[١]، أي أنه في حكم المصلي، فينبغي له اعتماد ما ينبغي للمصلي اعتماده، واجتناب ما ينبغي للمصلي اجتنابه[٢].

الوقوف بين يدي الله تعالى بحاجة إلى استعداد وتهيؤ، وهذا الاستعداد يبدأ من أول خروج المصلي من بيته، ولذا جاء النهي عن الإسراع والعجلة، لما يترتب على الإسراع من تفويت السكينة بين يدي الصلاة والخشوع حال إقامتها، فترى المسرع في مشيه حين يأتي المسجد يدخل وهو يجمع أنفاسه، وبحاجة لوقت ليهدأ ويخشع في قراءته.

ومما يترتب على الإسراع والعجلة التشويش على المصلين بما يحدثه المسرع من أصوات وجلبه، لما سمع ﷺ جلبة رجال وأصواتًا لحركتهم وكلامهم واستعجالهم، قال ﷺ:

---

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: ١٥٢.

(٢) فتح الباري لابن حجر (١١٨/٢).

«ما شأنكم؟» قالوا: استعجلنا إلى الصلاة؟ قال: «فلا تفعلوا، إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا»[1]، يؤكد ﷺ التحلي بالسكينة والوقار بالنهي عن العجلة والإسراع إليها.

السكينةُ والوقار حال إتيان الصلاة هو الأليق بشأن الصلاة، وهو الأكمل أدباً وأعظم ثوابا لمن يريد أن يقف بين يدي ملك الملوك سبحانه، فكما أن الدخول على سادة الدنيا وأمرائِها يكون بكامل الأدب وأحسن الأحوال، وبالتزام الهدوء والنظام، ومن غير اللائق الدخول بسرعة وجلبة وارتفاع أصوات، فالله جل في علاه أحق وأجل أن نخشع ونذل له، وأن نتحلى بالسكينة قبل الوقوف بين يديه، وأن نقبل عليه بوقار، وأن نفد إلى الله بأبهى صورة وأعدل مِشية.

❀❀❀

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٦٣٥، ومسلم، حديث رقم: ١٥٥.

﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام..﴾

جعل الله تعالى لمن يريد الوقوف بين يديه وجهة يولي وجهه إليها، ويستقبلها ويتوجه إليها، قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨]، فلكل أهل مِلة وجهة، جاء عن الربيع بن أنس قال: فلليهوديّ وجهة هو موليها، وللنصارى وجهة هو موليها، وهداكم الله ﷻ أنتم أيها الأمة للقبلة.[1]

لقد هدانا ربنا سبحانه إلى أعظم وجهة وهي الكعبة المشرفة، جعلها قبلة للمسلمين أينما كانوا، يتجهون إليها عند كل صلاة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٥٠].

والتوجه للكعبة أكرم الله به أمة نبيه ﷺ، فكان ﷺ أول الإسلام وهو بمكة يتوجه إلى بيت المقدس، ويرجو من الله أن

---

(١) تفسير الطبري (١٩٢/٣).

يحول توجهه إلى قبلة إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ [البقرة: ١٤٤]، وكان ﷺ في صلاته يجعل الكعبة بينه وبين المسجد الأقصى، فلما قدم ﷺ المدينة، صلى قِبل بيت المقدس ستة عشر شهرا، أو سبعة عشر شهرا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبل البيت الحرام، وأول صلاة صلاها جهة الكعبة صلاة العصر(١).

فاستقبالنا لهذه القبلة هداية وتوفيق من الله لهذه الأمة، أرشد الله نبيه ﷺ لقبلة إبراهيم عليه السلام، فكان حقا علينا شكر الله على هذه النعمة والوجهة الكريمة، يقول الله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، أي: قد بيّنت لكم أيها المؤمنون الحقَّ، وهديتكم للقِبلة التي ضلَّت عنها اليهود والنصارى، وسائرُ أهل الملل غيركم، فبادروا بالأعمال الصالحة، شكرًا لربكم، وتزوّدوا في دنياكم لآخرتكم، فإني قد بيّنت لكم سبُل النجاة، فلا عذر لكم في التفريط، وحافظوا على قبلتكم، فلا تضيِّعوها كما ضَيَّعتها الأمم قبلكم، فتضلُّوا كما ضلت(٢).

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٤٠، واللفظ له، ومسلم، حديث رقم: ٥٢٥.
(٢) تفسير الطبري (١٩٦/٣).

وهذه الوجهة مكرّمة مبجلة مقدسة، فكان التوجه إليها في أطيب حالات العبد وأكرم ما يكون عليه؛ حال الصلاة والدعاء والذبح والقصد لله سبحانه، بل كره الشرع التوجه إليها حال النجاسة من البول والغائط والبصاق، وأمر رسول الله ﷺ بإكرامها، فقال: «إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة، ولا تستدبروها ببول ولا غائط، ولكن شرقوا أو غربوا»(١)، وغضب ﷺ حين رأى القَذَر جهة القبلة، جاء عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ «رأى في جدار القبلة مُخاطا أو بُصاقا أو نُخامة، فحكّه»(٢)، وجاء عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ حين رأى النُخامة في القبلة شقّ ذلك عليه حتى رُئِي في وجهه، فقام فحكه بيده، فقال: «إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه، أو إن ربه بينه وبين القبلة، فلا يَبْزُقَنّ أحدكم قِبل قبلته، ولكن عن يساره أو تحت قدميه»(٣)، فإزالة النبي ﷺ بيده الشريفة للقذر من جدار القبلة إكرام واحترام وتنزيه لها.

علّل رسول الله ﷺ سبب تعظيم القبلة واحترامها بأن الله قِبَل وجه المصلي، قال ﷺ: «إذا كان أحدكم يصلي، فلا يبصق

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٣٩٤، ومسلم، حديث رقم: ٢٦٤.
(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٤٠٧، ومسلم، حديث رقم: ٥٤٩.
(٣) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٤٠٥، ومسلم، حديث رقم: ٥٥١.

قِبَل وجهه، فإن الله قِبَل وجهه إذا صلى»[١]، فالمصلي يناجي الله ﷻ، ويقف بين يديه، فمن كمال الأدب تعظيم الموقف، وإجلال الرب تعالى وتقدس، وتقدير الجهة التي توجه إليها، فكما أنه لا يليق بالإنسان أن يبصق، أو يفعل ما يخل بالأدب أثناء الحديث مع إنسان مثله، فكيف يفعل ذلك حين يقف بين يدي الله ويناجيه، وحين يتوجه إلى الجهة المبجّلة، قال ﷺ: «ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه فيَتَنَخَّع[٢] أمامه، أيحب أحدكم أن يُسْتَقبل فيَتَنَخَّع في وجهه؟»[٣]، فينبغي للمتوجه إلى القبلة تعظيمها وتقديسها وصيانتها، واستشعار عظمة الوجهة وقدسيتها.

من معاني التوجه للكعبة المشرفة وإلى أم القرى مكة المكرمة، كون هذه الوجهة وهذا المكان مركزَ الأرض وأمَّه، يقول ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأُمّ القُرى مكة سميت بذلك لوجوه أربعة، منها أنها منشأ الدين والشرع، ومنها ما روي أن الأرض منها دُحِيَة، ومنها أنها وسط الأرض وكالنقطة للقرى، ومنها أنها قبلة كل قرية، فهي لهذا كله أم، وسائر

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٤٠٦، ومسلم حديث رقم: ٥٧٤.

(٢) والنُّخاعَة: ما يخرج من الصدر.

(٣) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٥٥٠.

القرى بنات[١]، فكانت الكعبة مركزا للأرض، ومكة أمًّا لجميع القرى والمدن.

وفي أنحاء الأرض المعمورة يتجه جميع المسلمين نحو هذا البيت الحرام، ويولون وجوههم إليه كل يوم، وهذه القبلة والتوجه هو لأهل الأرض، وقد جعل الله تعالى لأهل السماء وجهة وبيتا يقصدونه ويصلون إليه، وهو البيت المعمور في السماء، جاء في حديث الإسراء أن النبي ﷺ رآه بعينه حين عرج به، وذكر اسمه أنه البيت المعمور، يقول ﷺ «ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسندا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه»[٢].

ومن جلالة هذا البيت في السماء أقسم الله تعالى به، فقال سبحانه: ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾ [الطور: ٤]، يقول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: البيت الذي يُعمر بكثرةِ غاشيتِه، وهو بيت فيما ذُكر في السماء

(١) تفسير ابن عطية (٣٢٢/٢).
(٢) أخرج مسلم، حديث رقم: ١٦٢.

بحيالِ الكعبة من الأرض[١]، ويقـول ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: البيت المعمور وهو كالكعبة في أنه قبلة من كل جهة[٢].

والبيت المعمور قبلة لأهل السماء في صلاتهم وتوجههم، تعمره الملائكة بصلاتها وعبادتها لربها ولا تنقطع عنه، قال ﷺ عن عمـران الملائكة للبيـت المعمور، «يصلـي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم»[٣]، وقال ﷺ عن كثرة الملائكة وعن عظيم عبادتها لله تعالى، وعن كثرة صلاتهم، «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، إن السماء أَطَّتِ، وحق لها أن تَئِطّ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله»[٤]، فهذه السماء على اتساعها وعظمتها صوّتت مـن ثقل ما عليهـا من ازدحـام الملائكة وكثرتهم، وقيل في سبب تسميته «معمور»، لكثرة ما يغشاه من الملائكة المتعبدين[٥].

---

(١) تفسير الطبري (٤٥٤/٢٢).
(٢) فتح الباري لابن حجر، (٢١٧/٧).
(٣) أخرجه البخاري، حديث رقم: ١٦٢، واللفظ له، ومسلم، حديث رقم: ١٦٢.
(٤) أخرجه الترمـذي، حديث رقم: ٢٣١٢، وابن ماجـه، حديث رقم: ٤١٩٠، وأحمد، حديث رقم: ٢١٥١٥.
(٥) أضواء البيان (٤٥١/٧).

ومكان البيت المعمور في السماء السابعة محاذيا للكعبة تماما، ويسمى الضُّرَاح، جاء عن قتادة أنه قال «فإنه مسجد في السماء تحتَه الكعبة، لو خرّ ـ لخرّ عليها»[١]، فالبيتُ المعمور كما أن تحتَه الكعبة، فالعرش العظيم فوقه موازيا له، جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾ قال: هو بيت حذاء العرش[٢]، فصار العرش العظيم والبيت المعمور في السماء والكعبة في الأرض كلها بمحاذاة بعض، وربنا رب العزة سبحانه عالٍ على خلقه، مستوٍ على عرشه، وعرشه فوق السماوات، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قبل وجه المصلي كما أخبر بذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالمصلي حين يقصد هذه الوجه ويوليها وجهه ينبغي عليه تعظيمها وصيانتها واستشعار قدسية هذه الوجهة وتبجيلها.

وأعظم التوجه توجه القلب إلى الله تعالى، وقصده وحده في العبادة، والإخلاص له في العمل، وعدم جعل أحد غير الله له حظ في القصد، فينبغي للمصلي استقبالُ قلبه وجمعُه متوجها إلى الله تعالى، وترك هموم الدنيا ومشاغلها وشهواتها خلفه، حتى يقبل على الله بكليته.

---

(١) تفسير الطبري (٤٥٦/٢٢).

(٢) تفسير الطبري (٤٥٦/٢٢).

إن انصراف المصلي والتفاته من التفــات القلب للدنيا، وترك الإقبال على الله، قال ﷺ: «لا يــزال الله عز وجل مقبلا على العبد في صلاته ما لــم يلتفت، فإذا صــرف وجهه، انصرف عنه»[1]، يقــول ابن القيم رحمه الله: ومثل مــن يلتفت في صلاته ببصره أو بقلبه مثل رجل قد استدعاه السلطان فأوقفه بين يديه وأقبل يناديه ويخاطبه، وهو في خلال ذلك يلتفت عن السلطان يميناً وشمالاً وقد انصرف قلبه عن السلطان فلا يفهم ما يخاطبه به، لأن قلبه ليس حاضراً معه، فما ظن هذا الرجل أن يفعل به السلطان؟ أفليس أقل المراتب في حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتاً مبعداً قد سقط من عينيه؟[2].

❀❀❀

(١) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٩٠٩، والنسائي، حديث رقم: ١١٩٥، وأحمد، حديث رقم: ٢١٥٠٨.

(٢) الوابل الصيب، ص٢١.

﴿كتابا موقوتا..﴾

لما فرض الله تعالى الصلوات الخمس حدّد أوقاتها، ووقّت ســاعاتها، وأوجب الإتيان بها في موعدها دون تقديم لها أو تأخير، وتلك الأوقات حين تحدد وتوقّت فإنه لأجل الالتزام بها، وأدائها في ســاعتها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النســاء: ١٠٣]، أي: فريضــة محددة بوقت، قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن للصلاة وقتًا كوقت الحجّ[1]، فجعل الله تعالى للصلاة أوقاتا معلومة تقام فيها، وأزمنة ثابتة لا تُخرج عنها.

والله تعالى أشار إلى أوقاتها في كتابه الكريم، يقول تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [الإســراء: ٧٨]، ففي الآية الكريمة يأمر الله بالإتيان بالصلاة في أوقاتها المحددة لها، ودلوك الشمس زوالها عن وسط السماء في منتصف النهار، ويشــمل ذلك صلاة الظهر والعصر، إلى

---

(١) تفسير الطبري، (٩/٦٦١).

غسـق الليل وهو ظلمته، وتشـمل المغرب والعشاء، وصلاة الصبح تقام عند طلوع الفجر كما ذكر الله تعالى.

ولأهمية أداء الصلاة في وقتها المحدد أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام إلى نبينا محمد ﷺ يعلمه وقت كل صلاة، جاء عن جابر بن عبـد الله رضي الله عنه، قـال: جاء جبريـل عليه السلام إلى النبي ﷺ حين زالت الشمس فقال: قم يا محمد فصل الظهر حين مالت الشمس، ثم مكث حتى إذا كان فيء الرجل مثله جاءه للعصر فقال: قم يا محمد فصل العصر، ثم مكث حتى إذا غابت الشمس جاءه فقال: قم فصل المغرب، فقام فصلاها حين غابت الشمس سـواء، ثم مكث حتى إذا ذهب الشفق جاءه فقال: قم فصل العشاء فقام فصلاها، ثم جاءه حين سطع الفجر فـي الصبح فقال: قـم يا محمد فصـل، فقام فصلى الصبح، ثم جاءه من الغد حين كان فيء الرجل مثله فقال: قم يا محمد فصل، فصلى الظهر، ثم جاءه جبريل عليه السلام حين كان فيء الرجل مثليه فقال: قم يا محمد فصل، فصلى العصر، ثم جاءه للمغرب حين غابت الشـمس وقتا واحدا لم يزل عنه فقال: قم فصل فصلى المغرب، ثم جاءه للعشاء حين ذهب ثلث الليل الأول فقال: قم فصل، فصلى العشـاء، ثم جاءه للصبح حين أسفر جدا فقال: قم فصل، فصلى الصبح، فقال:

ما بين هذين وقتٌ كلُه»[١]، هكذا حدّد جبريل للنبي ﷺ وقت كل صلاة، فجعلــه يصلي أول الوقت وآخــره، وأخبره بأن ما بين الوقتين وقت للصلاة.

من حدد أوقات الصلة بين العبد وربه وموعد إقامة الصلاة هو الله جــل وعلا، فأخبــر عن أوقاتهــا في كتابه، وأرســل جبريل عليه السلام يبين تلك المواقيت، فهو جل في علاه الذي أراد منّا أن نقف له في تلــك الأوقات، وهو الذي اختار مواعيدها وساعاتها، ومن عظّم ربه وأجلّه فلن يتوانى عن مواعيد لقائه.

أوقات اليوم والليلة وساعاته عديدة، وبحكمةٍ منه تعالى أختار من سائر الأوقات ساعات محددة للصلوات، ونهى عن الصلاة فــي أوقات أخر، فأمور العباد وحاجاتهم ومشــاغلهم ونومهم وصحوهم وكل شــأنهم اللهُ أعلم بما يصلحها، وبما ينفعها وبما يضرها، فلمّا وقــت الله تعالى لنا مواقيت الصلاة وحددها دلّ على أهمية العناية بأوقاتها، ووجوب الالتزام بها، وعدم التهاون والتشــاغل عنها، وأنه ينبغــي تقديم أو تأخير مشاغل الحياة وحاجاتها ومتطلباتها عن أوقاتها، وعدم الاقتراب

(١) أخرجه النســائي، حديث رقم: ٥٢٦، واللفظ لــه، وأحمد، حديث رقم: ١٤٥٣٨، وصححه الألباني.

منها إلا بعذر شـرعي، حتى لا تزاحم موعـد اللقاء العظيم، والقرب من الرب الجليل، ولزم من العبد الحضور في الوقت المحدّد، وعدم التأخر أو التسـويف أو التثاقل، وبقدر مكانة المحبوب ومنزلته، والشـوق للقائه، يكـون الالتزام بالموعد والتقيد به، وأكثر من ذلك حين يبلغ الشوق للِّقاء مبلغا كبيرا، فسيكون الاستعداد والتبكير، والحضور قبل اللقاء المضروب سلفا، والمحدد آنفا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣]، المتأمل في سـياق الآية السابقة يجدها أتت بعد آيتين كريمتين؛ بعد آية قصر الصلاة في السـفر، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [النساء: ١٠١]، وآية صلاة الخوف، يقول تعالى في مطلعها: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡ﴾ [النساء: ١٠٢]، وفي الآيتين ذكر سبحانه المشقة والسفر، والحرب والخوف، وأباح للمصلي في السفر الترخص في مقدارها وهيئتها؛ بقصر الرباعية وجمع الصلاتين، ورخـص إقامتها بكيفية مخصوصة تناسـب حال القتال والخوف، ولم يُبح القرآن أن تترك بالكلية، أو تُخرج عن وقتها حال الحرب حتى يحصل الأمن، فدل على أهمية شرط

الوقت للصلاة، وأنه قد تسقط الأركان والواجبات، ولا يسقط الوقت، يقول ابن تيمية رحمه لله: ولا بد من الصلاة في وقتها، ولا يجوز تأخيرها عن الوقــت لأحد أصلا، لا بعذر ولا بغير عذر، لكن يصلي في الوقت بحسب الإمكان، يصلي المريض بحسب حاله في الوقت، فيصلي في الوقت قاعدا ولا يصلي بعد خروج الوقت قائمــا، وكذلك من اشــتبهت عليه القبلة فيصلي في الوقت بالاجتهاد والتقليد ولا يؤخرها ليصلي بعد الوقت باليقين، وكذلك من كان عليه نجاسة في بدنه أو ثوبه لا يمكنه إزالتها حتى تفوت الصــلاة، فيصلي بها في الوقت ولا يفوت الصلاة ليصلي طاهرا، فالصــلاة في الوقت فرض بحسب الإمكان والاســتطاعة وإن كانت صلاة ناقصة، حتى الخائف يصلي صــلاة الخوف في الوقت بحســب الإمكان، ولا يفوتها ليصلي صلاة أمن بعد خروج الوقت حتى في حال المقاتلة يصلي ويقاتل، ولا يفوت الصــلاة ليصلي بلا قتال، فالصلاة المفروضة فــي الوقت وإن كانــت ناقصة، خير من تفويت الصلاة بعد الوقت وإن كانت كاملة[1]، فلا تؤخر الصلاة عن وقتها إلا في حال المســايفة والمواجهة والانشــغال التام

(١) مجموع الفتاوى، (٢١/٤٥٥).

بالعدو، أما في غير المواجهة فتكون صلاة الخوف في وقتها حسب القدرة فردا أو جماعة، راكبا أو راجلا.

لا يشغل عن الإتيان بالصلاة في الوقت المحدّد دون عذر إلا من غفل عــن جلالة الموعــد الرباني، واتبع شــهواته، واستغرق في أمر دنياه، واشــتغل عن صلته بربه بما هو دون ذلك، يقــول تعالــى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريـم: ٥٩]، أعقب الله سبحانه الإخبار عن تضييع الصلوات باتباع الشهوات، والمعنى، آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله(١)، قال ابن مسعود رضي الله عنه: ليس إضاعتها تركها، قدْ يضيع الإنســان الشيء ولا يتركه، ولكن إضاعتها إذا لم يصلها لوقتها(٢)، فلا يضيع الصلاة إلا غارق في الشهوة، يستمتع بالعاجل فيصرفه عن الآجل، والسلف الصالح يعدّون كل شهوة صارفة عن الطاعة هي من هذا الباب، وكلما زادت الشــهوة، نقصت الصلاة، قال كعب الأحبار: والله إني لأجد صفة المنافقين في كتاب الله عز وجل، شرّابين للقهوات(٣)،

(١) تفسير البغوي، (٣/٢٤٠).
(٢) الدر المنثور للسيوطي، (٥/٥٢٦).
(٣) القهوات، يعني: يعني الخمور.

ترّاكين للصلوات، لعّابين بالكعبات[1]، رقّادين عن العتمات، مفرّطين في الغدوات، ترآكين للجمعـــات، قال: ثم تلا هذه الآيـــة: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾[2].

سئل النبي ﷺ عن: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها»[3]، لكن قد يعرض للمســلم عن أداء الصلاة في وقتها عبادة أخرى تشغله، كالجهاد في سبيل الله والاستعداد له، وليس تركها بالكلية، وليس تهاونا أو كسلا، إنما عبادة أخرى زاحمت الصلاة في وقتها، ومع ذلك المؤمن يبادر إلى أدائها وإقامتها حين يذكرها، مستغفرا ربه منيبا له.

حكى القــرآن ما وقع لنبي الله ســليمان عليه السلام مع صلاة العصر، في قول الله تعالـــى: ﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ٣١ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ٣٢ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ [ص: ٣٠ ـ ٣٣]، يقول ابن كثير رحمه الله :

(١) كعب والكعبة الذي يلعب به. لسان العرب، (٧١٨/١).

(٢) تفسير ابن كثير، (٢٤٥/٥).

(٣) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٥٢٧، ومسلم، حديث رقم: ٨٥.

ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرض الخيل حتى فات وقت صلاة العصر، والذي يقطع به أنه لم يتركها عمدا بل نسيانا كما شغل النبي ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب وذلك ثابت في الصحيحين، جاء عمر رضي الله عنه يوم الخندق بعد ما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش، ويقول: يا رسول الله، والله ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب[١].

علم ربنا سبحانه السهو الذي يصيب عباده عن مواعيد الصلة به والانقطاع لأجله، بسبب ملهيات الدنيا ومشاغلها، فذكّر الله المؤمنين وحذرهم من ذلك، قال تعالى في سورة المنافقين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

جاءت النصوص محذرة من التهاون في تأخير الصلاة عن وقتها، والتشاغل بغيرها، قال تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤ ـ ٥]، روي أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه سأل النبيَ ﷺ عن ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾، قال: هم الذين يؤخّرون الصلاة عن

(١) تفسير ابن كثير (٧/٦٥).

وقتهـــا،[١] تأمل قولـــه ﷺ أنهـــم الذين يؤخرونهـــا، وليس يخرجونها عن وقتها.

قال ﷺ عن الذي لا يؤدي صلاة العصر في وقتها: «الذي تفوته صلاة العصر، كأنما وُتِر أهلَه ومالَه»[٢]، فشبه رسول الله ﷺ من فاتته صلاة العصر عن وقتها، بمن سُلب أو فقد أهله وماله وأصبح وترًا فريدًا بلا أهل ولا مال، مصابًا مغتمًا.

ومما ابتلي به بعضهم التســاهل في إقامة الصلاة على وقتها، وتقديم غيرها عليها، واشتغالهم بدنياهم وبأعمالهم حتى يخرج وقتها، والتســاهل في التوقيت لها، وما شُرع الأذان إلّا لأجل الإعلام بدخول وقت الصلاة، والإقبال على الله، وتنبيـــه النائميـــن والغافلين والمشـــغولين واللاهين، وإخبارهم بأن وقـــت الصلاة قد دخـــل، والإقبال على الله والفلاح قد حان.

فوات الصلاة عن موعدها أعظم من فوات مطالب الدنيا وأموالهـــا وتجاراتها، قال تعالـــى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۝٣٦ رِجَالٞ لَّا

---

(١) تفسير الطبري، (٦٣٢/٢٤).

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٥٥٢، ومسلم، حديث رقم: ٦٢٦.

تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [النور: ٣٦ ـ ٣٧]، هؤلاء لا تشغلهم الدنيا وزخرفها وزينتها وملاذ بيعها وربحها عن ذكر ربهم الذي هو خالقهم ورازقهم، والذين يعلمون أن الذي عنده هو خير لهم وأنفع مما بأيديهم، لأن ما عندهم ينفد وما عند الله باق، فيقدمون طاعته ومراده ومحبته على مرادهم ومحبتهم(١)، رأى ابن مسعود رضي الله عنه قوما من أهل السوق حيث نودي بالصلاة، تركوا بياعاتهم ونهضوا إلى الصلاة، فقال عبد الله: هؤلاء من الذين ذكر الله في كتابه، ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾(٢).

❀❀❀

(١) تفسير ابن كثير، (٦/٦٨).

(٢) تفسير الطبري، (١٩/١٩٢).

حي على الصلاة..

اهتم النبي ﷺ للصلاة، كيف يجمع الناس لها[١]، وذلك حين قدم المدينة وكثر المسلمون، وقبل أن يشرع الأذان، والصحابة رضوان الله عليهم اهتموا كذلك لأمر الصلاة، وحرصوا على أدائها لوقتها وعدم تأخيرها، وأرادوا «أن يَعلَمُوا وقت الصلاة بشيء يعرفونه»[٢].

«كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فَيَتَحَيَّنُون الصلاة ليس ينادى لها»[٣]، فكانوا يتحيّنون وقتها، ويقدرون حينها ليأتوا إليها، يقول ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثم إنهم تشاوروا في ذلك وتكلموا فيه لما شق عليهم التحيّن، فربما كان منهم من يتقدم قبل الوقت فيفوته ما كان يعمل، ومنهم من كان يتأخر فتفوته الصلاة، «فتكلموا يوما في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا

(١) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٤٩٨، وصححه الألباني.
(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٣٧٨، ومسلم، حديث رقم: ٦٠٦.
(٣) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٦٠٤، ومسلم، حديث رقم: ٣٧٧.

ناقوسا مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل بوقا مثل قرن اليهود، فقال عمر ﵁: أولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة»[١]، «فانصرف عبد الله بن زيد ﵁ وهو مُهْتَمَ لِهَمّ رسول الله ﷺ، فَأُرِي الأذان في منامه: فغدا على رسول الله ﷺ، فأخبره، فقال له: يا رسول الله إني لَبَيْن نائم ويقظان، إذ أتاني آت فأراني الأذان، وكان عمر بن الخطاب ﵁، قد رآه قبل ذلك فكتمه عشرين يوما، ثم أخبر النبي ﷺ، فقال له: «ما منعك أن تخبرني؟»، فقال: سبقني عبد الله بن زيد، فاستحييت، فقال رسول الله ﷺ: «يا بلال، قم فانظر ما يأمرك به عبد الله بن زيد، فافعله» قال: فأذن بلال[٢].

تأمل اهتمام رسول الله ﷺ وصحبه الكرام لأمر الصلاة، وحرص الاجتماع إليها لأدائها في وقتها، حتى تشاورا كيفية الإعلان والنداء لها، واقترحوا وسائل عديدة لبيان دخول وقتها، وكان اهتمام رسول ﷺ الشديد لكيفية جمع الناس للصلاة أثّر في عبد الله بن زيد ﵁، فلما كانت الرؤيا بتلك الجمل العظيمة والمعاني الجليلة أقرّ رسول الله ﷺ كلمات الأذان.

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٦٠٤، ومسلم، حديث رقم: ٣٧٧.

(٢) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٤٩٨، وصححه الألباني.

والمتأمل في كلمات الأذان يجدها جليلة عظيمة، اختارها الله تعالى لهذه الأمة لتكون شعارا لهم، بدلا من أصوات النواقيس والأبواق والأجراس التي لا معنى لها في ذاتها سوى الإعلام والنداء.

بدأ الأذان بتكبير الله وتعظيمه «الله أكبر»، ليس تكبيرة واحدة، بل جاءت التكبيرات أربع متتاليات، تبين أن الله تعالى أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شغل، والصلاة التي ينادى لها أولى من كل عمل، يسمعها المسلمون في بدء الأذان وفي ختامه، لتوقظ تلك الكلمات والتكبيرات كل غافل وعاص ولاه، وكل مشغول ونائم وساه، تدعوه ليترك كل شيء فينهض للصلاة، كما كان هديه ﷺ، سُئلت عائشة رضي الله عنها ما كان النبي ﷺ يصنع في البيت؟ قالت: «كان يكون في مهنة أهله، فإذا سمع الأذان خرج»[1].

ثُنيت كلمات الأذان بالشهادتين، بشهادة ألا إله إلا الله، والاعتراف بأن لا معبود بحق إلا الله، المستحق لأن يطاع وحده، وأن يستجاب له، وأن لا يشتغل العبد بغير أمره، وأن تكون المبادرة للوقوف بين يديه إذا نودي للصلاة، ومن عرف

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٥٣٦٣.

معنى «لا إله إلا الله» أقبل على صلاته، تاركا كل عمل في يديه، ماضيا متوجها لبيوت الله، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩]، فالإقبال إلى الله تعالى وشهود الصلاة في المساجد والمبادرة إليها خير من التجارة ومن كل شغل، قال رسول الله ﷺ: «واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة»[(١)].

وإذا قال المؤذن «حي على الصلاة حي على الفلاح»، كان إعلاما لبدء دخول وقت الصلاة، ودعوة للإقبال إلى الله تعالى، وإلى خيرَي الدنيا والآخرة، فيملأ النداء أرجاء الأرض بدعوة كل مسلم للصلاة، فهنا ينبغي المبادرة والتبكير، والاستعداد والحضور.

ولما كانت إقامة الصلاة والتهيؤ لها وإتيان المساجد بحاجة إلى مضيّ وتوجّه، وعدم تكاسل وتثاقل، كان على السامع لتلك الكلمات «حي على الصلاة، حي على الفلاح» أن يردّ بقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، فلا تحول للعبد من حال إلى حال، ولا قوة له على ذلك إلا بالله، ولا تحوّل للمؤمن من أمره دنياه

(١) أخرجه ابن ماجه، حديث رقم: ٢٧٦، وأحمد، حديث رقم: ٢٢٤٣٦، وصححه الألباني.

وشغله إلى القيام للصلاة إلا بالله، هذه الكلمة استسلام وتفويض إلى الله، والعبد لا يملك شيئًا من الأمر، وليس له حيلة ولا قوة في فعل الطاعة إلا بإرادة الله وحوله وقوته، وحولك ونشاطك وقوتك مهما بلغت من القدرة فإنها لا تغني شيئا إلا بعون الله.

إذا قِيلت ـ لا حول ولا قوة إلا بالله ـ بعد الحيعلتين فليبشر المصلي بعون الله وقدرته في أداء الطاعة والصلاة المكتوبة، يقول ابن تيمية رحمه الله: فلفظ الحول يتناول كل تحول من حال إلى حال، والقوة هي القدرة على ذلك التحول؛ فدلت هذه الكلمة العظيمة على أنه ليس للعالم العلوي والسفلي حركة وتحول من حال إلى حال ولا قدرة على ذلك إلا بالله[١]، ولذا قال رسول الله ﷺ عن «لاحول ولا قوة إلا بالله» كنز من كنوز الجنة[٢]، والكنز مال مجتمع لا يحتاج إلى جمع؛ وذلك أنها تتضمن التوكل والافتقار إلى الله تعالى[٣].

لما كانت جمل الأذان تنطق بالتوحيد والإخلاص، والدعوة إلى الله والوقوف بين يديه، وإرشاد المسلمين إلى أماكن

(١) مجموع الفتاوى، (٥٧٤/٤).
(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٤٢٠٥، ومسلم، حديث رقم: ٢٧٠٤.
(٣) مجموع الفتاوى، (٣٢١/١٣).

المساجد، ولم يكن الأذان والإعلام ناقوسا مثل ناقوس النصارى، ولا بوقا مثل قرن اليهود، ولا نارا مثل نار المجوس، كان النداء شديدا على الشيطان، حتى إنه لا يحب سماعه، ويهرب من صوت المؤذن ويولّي، وفي الحديث «إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان، وله ضُرَاط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضى النداء أقبل، حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر، حتى إذا قضى التثويب أقبل»(١).

ينادي المؤذنون بكلمات الأذان كل يوم خمس مرات، ينادون بصوت عال، لا يكاد يخفت صوت الحق بعد فريضة، إلا وترفع المآذن كلمات التكبير والتوحيد والدعوة للصلاة لفريضة تليها، فلا صوت أعلى من صوت المؤذن، ولا مَسمع يعلو صوت الحق، وهكذا ينبغي لبلاد المسلمين أن يدوي فيها صوت الأذان ويرتفع، معلنة بأقصى صوت أن الله أكبر وأعظم من كل شيء، وأن توحيده سبحانه والإيمان به متجدد طيلة اليوم، وأن الدعوة للصلاة أهم من كل الدعوات.

كان المؤذن يصعد أعلى بيت حول المسجد ليرفع الأذان، ويُسمع من حوله، جاء عن عروة بن الزبير، عن امرأة

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٦٠٨، ومسلم، حديث رقم: ٣٨٩.

من بني النجار قالت: «كان بيتي من أطول بيت حول المسجد، وكان بلال يؤذن عليه الفجر»[(١)]، ثم اتُخذت المنارات والمآذن للمساجد لرفع الأذان، ولتكون معلما للمساجد ومرشدا لها، وفي زمننا استخدمت المكبرات الحديثة ليعلو صوت الحق والتوحيد.

ذكر أهل العلم من صفات المؤذن أن يكون صَيّتا، حتى يبلغ صوته أقصى ما يمكن، جاء في حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه، لما أخبر النبي ﷺ بالأذان، قال له: «فقم مع بلال فإنه أندى وأمد صوتا منك، فألق عليه ما قيل لك»[(٢)]، قيل معناه أرفع صوتا، وقيل أطيب، فيؤخذ منه استحباب كون المؤذن رفيع الصوت وحسنه وهذا متفق عليه[(٣)].

في الحكمة في رفع الصوت بالأذان، قيل ليعمّ الصوت، ويطول أمد التأذين فيكثر الجمع، ويفوت على الشيطان مقصوده من إلهاء الآدمي عن إقامة الصلاة في جماعة، أو إخراجها عن وقتها، أو وقت فضيلتها، فيفر حينئذ وقد يئس

---

(١) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٥١٩، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٤٩٩، والترمذي، حديث رقم: ١٨٩، وابن ماجه، حديث رقم: ٧٠٦، وأحمد، حديث رقم: ١٦٤٧٨.

(٣) شرح النووي على مسلم، (٤/٧٧).

أن يردهم عما أعلنوا به، ثم يرجع لما طبع عليه من الأذى إلى الوسوسة[١].

واستحب للمؤذن أن يكون حسن الصوت، وذلك لزيادة الإبلاغ، فالصوت الحسن أبلغ أثرا في نفس السامع، فيرق قلبه، ويميل إلى الإجابة، وفي الحديث أمر رسول الله ﷺ نحوا من عشرين رجلا فأذنوا، فأعجبه صوت أبي محذورة، فعلمه الأذان.[٢]

وإننا نشاهد من رزقه الله حسن الصوت وجماله حين يؤذن يأْسر القلوب، ويسكت المتكلم، ويرجو السامع ألا يتوقف عن الأذان، جاء عن ابن جريج قال: حدثت أن الناس كانوا ينصتون للمؤذن إنصاتهم للقراءة[٣]، فما أعظم هذه الشعيرة وما أبلغها، وما أشدها على شياطين الإنس، وشياطين الجانّ.

❀❀❀

---

(١) شرح الزرقاني على الموطأ، (٦٢١/١).
(٢) أخرجه الدارمي، حديث رقم: ١٢٣٢، وابن خزيمة، حديث رقم: ٣٧٧، وأصله في صحيح مسلم، حديث رقم: ٣٧٩.
(٣) فتح الباري لابن حجر، (٩٢/٢).

التهجير..

لما كانت الصلاة على وقتها أحب الأعمال إلى الله، والوقوف بين يديه تعالى ومناجاته دليل محبة وشوق، حرص المشتاقون للتبكير والتهجير، ولن يتباطأ في الإتيان ويتأخر في المجيء من كانت الصلاة أنسه وراحته وقرة عينه.

الأحرى بالمسلم والأليق به ألا يتأخر بعد سماع النداء، وألا يتشاغل عن المجيء، وأن تكون المبادرة في إتيان الصلاة حين سماع حي على الصلاة، حي على الفلاح، هذه الكلمات تتطلب الإقبال والتوجه والسعي، والتبكير وعدم التثاقل والتشاغل، ففوات أمور الدنيا أهون من فوات التهجير والتبكير إليها، وكل شغل يؤخر عن لقاء الله تعالى ينبغي تأخيره، وكل عمل يزاحم القيام بين يدي الله فالأفضل تأجيله.

ولما كان أجر التبكير للصلاة وإدراك الصف الأول عظيما، والثواب جزيلا، خَفي الأجر وأبهم، قال ﷺ: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه

لاستهموا[١]، ولو يعلمون ما في التَّهْجِير[٢] لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العَتَمَة[٣] والصبح، لأتوهما ولو حبوا»[٤]، ولفضل التبكير وشرف الصف الأول، فإن المصلي لا يؤْثر به أحدا سواه، ولو عُرف الأجر المترتب على الصف الأول، ثم لم يجد المصلون في الدخول فيها إلا أن يقترعوا لفعلوا.

التبكير للصلاة دليل تعلق القلب بالمساجد، وعلامة حب العبد للقاء ربه، ومن عظيم ثواب من تعلق قلبه بالمساجد وأحب انتظار الصلاة تلو الصلاة أنه يوم القيامة يدخل في قوله ﷺ «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» وذكر منهم «رجل قلبه معلق في المساجد»[٥]، وظاهره أنه من التعليق، كأنه شبهه بالشيء المعلق في المسجد، كالقنديل مثلا، إشارة إلى طول الملازمة بقلبه وإن كان جسده خارجا عنه، ويحتمل أن يكون من العلاقة، وهي شدة الحب[٦].

---

(١) الاستهام: هو الاقتراع.

(٢) التهجير: التبكير والمبادرة إلى الصلاة.

(٣) العتمة: صلاة العشاء.

(٤) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٦١٥، ومسلم، حديث رقم: ٤٣٧.

(٥) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٦٦٠، ومسلم، حديث رقم: ١٠٣١.

(٦) فتح الباري لابن حجر، (١٤٥/٢).

وهذه اللذة التي يجدها المصلي في المساجد جعلت قلبه متعلقا فيه على الدوام، يتوق للعود إليه إذا خرج منه، جاء في رواية أخرى: «ورجل معلق بالمسجد، إذا خرج منه حتى يعود إليه»(١)، فقربه من ربه تبارك وتعالى وحبه له، وشعوره بأنه وهو في المسجد إنما هو في بيت محبوبه الأعظم تبارك وتعالى، حصل تعلّقه بالمسجد، وأحب طول الجلوس فيه والعكوف، ومن خرج من بيت محبوبه تاق إلى العودة إليه، فلا يكاد قلبه يهدأ ويسكن حتى يرجع ذلك البيت مرة أخرى، وتلك البقعة المباركة.

الصفوف الأولى والمقاعد الأمامية عند السادة والسلاطين يُتسابق للجلوس فيها، ويخصّ لها أكابر القوم، وأحيانا يمنع منها عامة الناس، وأمّا الوقوف بين يدي رب العالمين الذي له العظمة والكبرياء فإنه أعظم موقف، وأجل وأشرف من يتسابق للدخول فيها، والأَولى في الصف الأول في بيوت الله من بكّر إليها وسَبق، ولا يَقْدم أولاً إلا من أحب اللقاء، وعظّم قدر الموقف، وعرف شرفَ القيام.

ومن شرف الصفوف الأولى أن أثنى الله تعالى على أهل الصف الأول عند ملائكة السماء، يقول ﷺ: «إن الله عزّ وجلّ،

---

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: ١٠٣١.

وملائكته يصلون على الصف الأول، أو الصفوف الأولى»[١]، وفي العادة لا يدرك الصف الأول إلا مَن بادر وبكّر، فمن الذي يحرم نفسه من ثناء الله تعالى، ويؤثر بالصف الأول لغيره، ويتأخر في القدوم، فيفوته القرب والثواب.

كان ﷺ يحذّر أصحابه من التأخر عن الصفوف الأول، ويحثهم على التقدم والقرب منه، رأى رسول الله ﷺ في أصحابه تأخرا فقال لهم: «تقدموا فأتموا بي، ولّيَأْتم بكم مَن بعدكم، لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله»[٢]. والمعنى، حتى يؤخرهم الله تعالى عن رحمته، أو عظيم فضله ورفع المنزلة، وعن العلم ونحو ذلك[٣].

كان حال سلفنا الصالح فريدا، وقصصهم في التبكير للصلاة وإدراكهم للصف الأول عجبا، يقول عدي بن حاتم رضي الله عنه: ما دخل وقت صلاة حتى أشتاق إليها، وما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء[٤]، وهذا سعيد بن

---

(١) أخرجه ابن ماجه، حديث رقم: ٩٩٧، وأحمد، حديث رقم: ١٨٣٦٤، وصححه الألباني.
(٢) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٤٣٨.
(٣) شرح النووي (١٥٩/٤).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٦٤/٣).

المسيب يقول: ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة وما نظرت في قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة، ويقول: ما دخل عليّ وقت صلاة إلا وقد أخذت أهبتها، ولا دخل عليّ قضاء فرض إلا وأنا إليه مشتاق[١]، بل كانوا يتألّمون لفوات هذا الخير العظيم والأجر الجزيل، يقول ابن عمر رضي الله عنهما خرج عمر يوما إلى حائط له فرجع وقد صلى الناس العصر فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون، فاتتني صلاة العصر في الجماعة، أشهدكم أن حائطي على المساكين صدقة، لتكون كفارة لما صنع، وقال حاتم الأصم: فاتتني الصلاة في الجماعة فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده، ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف، لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا[٢].

❀❀❀

(١) حلية الأولياء (٢/١٦٣).

(٢) الكبائر للذهبي، ص٣١.

استتار المصلي..

القيام بين يدي الله تعالى ومناجاته شرف كبير، لا يضاهيه موقف ولا يدانيه قيام، ولشــرف الموقــف وجلالته لا ينبغي لأحد أن يقطع تلك المناجاة بين العبد وبين ربه بأي حال من الأحوال، فعظمت الموقف لا بد أن تجلّ وتعظم، قال ﷺ: «إذا كان أحدكم يصلي، فلا يبصق قبل وجهه، فإن الله قبل وجهه إذا صلى»[(١)]، وشــدد ﷺ في المرور بين يدي المصلي فقال: «لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه، لكان أن يقف أربعين خيرا له، من أن يمر بين يديه» قال أبو النضر: «لا أدري قال: أربعين يوما أو شهرا أو سنة؟»[(٢)]، فوقوفه أربعين ينتظر مسلكا يباح له المرور فيه، خيرُ له من المرور بين يدي المصلي، وإن لم يجد طريقا غيرَه[(٣)].

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٤٠٦، مسلم، حديث رقم: ٥٤٧.
(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٥١٠، ومسلم، حديث رقم: ٥٠٧.
(٣) فتح الباري لابن رجب، (٨٠/٤).

والمصلي يناجي ربه تعالى، ويدعوه ويتقرب إليه، والله جل في علاه يستمع لمناجاته ويجيبه، والداخل بين المصلي وبين ربه تعالى معرض للوعيد الشديد، فلو علم المار ما في مروره بين يدي المصلي من الإثم لوقف سنة كاملة ينتظر، ولا يجتاز.

وقد أمر ﷺ بالعناية بهذا الموقف الشريف، فشرع للمصلي أن يصلي إلى سترة يتخذها حتى تكون حائلا ومانعا بينه وبين من يمر أمامه، قال ﷺ: «إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس فأراد أحد أن يجتاز بين يديه، فليدفعه فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان»(١)، فلزم المصلي أن يحافظ على موقفه بين يدي الله تعالى باتخاذه سترة يصلي إليها، ويدنو منها ويقترب، حتى لا يكون للمارة مجال لقطع الصلة والمناجاة.

لم نؤمر باتخاذ الســترة فحســب، بل جاء الأمر بالعناية والمحافظة على جلالة الموقف حتى مع وجود السترة، وذلك بمنع من يريد أن يجتاز ودفعه، حتى لو اضطر لمقاتلته، وفي رواية، «فليدفع في نحره»(٢).

وصف ﷺ المار بين يدي المصلي بأنه شــيطان، ففعل هذا

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٥٠٩، ومسلم، حديث رقم: ٥٠٥.
(٢) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٥٠٥.

المار وإصراره على المرور ليس من عادة أهل الإيمان الذين عرفوا قدر القيام والمناجاة، فالمار يقطع خشوعَه وقراءتَه ودعاءه، ويشغلُه عن مناجاة ربه، قال ﷺ «فإنما هو شيطان»، أي فعله فعل الشيطان، لأنه أبى إلا التشويش على المصلي[(١)]، فاتخاذ السترة والدنو منها، دليل حرص على الخشوع، وحفظ للمناجاة وتعظيم لها.

كان ﷺ يعظم هذا الموقف ويجله، فيمنع من المرور بين يديه حتى لو كان المار بهيمة لا تعقل، فإنه يدرأ مرورها بتقدمه إلى السترة، جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ كان يصلي، فمرت شاة بين يديه، فساعاها إلى القبلة، حتى ألزق بطنه بالقبلة»[(٢)].

لو قُدر أن رجلا قام إلى ملك من ملوك الدنيا يكلمه ويطلب منه ويحادثه، فهل يصلح أن يُتخذ ما بين الرجل وما بين الملك طريقا للذاهب والآيب، يقطع الحديث ويشوش عليهما، أو يحجب الرؤية عنهما، وإن حصل فمرّ بينهما أحد فإنه سيمنع من الاجتياز تقديرا وإكراما، وموقف المصلي بين يدي الله أكبر وأجل، وأشرف وأكرم.

---

(١) فتح الباري لابن حجر، (٥٨٤/١).

(٢) أخرجه ابن حبان، حديث رقم: ٢٣٧١، وابن خزيمة، حديث رقم: ٨٢٧، والطبراني في الكبير، حديث رقم: ١١٩٣٧، والحاكم، حديث رقم: ٩٣٤، وقال صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

تسوية الصفوف..

حين يجتمــع المســلمون وقوفا بين يــدي الله تعالى، يقيمون الصلاة ويناجون الله، فإن اجتماعهم ينبغي أن يفضل على أيّ اجتمــاع، ويتفرد عن أي لقاء، بــأن يجلّ ويحترم ويقدر، أعظم من تقدير المناسـبات والاجتماعات الدنيوية أمام الكبراء والســادة، فلا يصلح أن يقــف المصلون دون تراص وانتظام، أو يقفوا بعشوائية وفوضى، أو تزاحم دون إجلال للموقف واللقاء.

لقــد عرفــت الملائكــة جلالــة الموقــف وعظمته، واستشــعرت قدر وقوفها بين يدي الله، فكان قيامها مناسبا للمقام، يقفون بصفوف وفي انتظام، وصفة اصطفاف الملائكة عند الله تعالى إتمام الصُّفوف الْمتقدِّمة، وعدم ترك فراغات ليس فيها أحد، فيكمّل الصــف الأول فالأول، ولهذا أخبر الله تعالى عن ملائكتــه، بأنهم قالــوا: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾، أي: الواقفون صفوفا، كما تتضمن طريقة اصطفاف الملائكة أيضا التراص في

الصفّ نفسه، باعتداله واســتقامته وإقامته، ولما علِم ﷺ هذه الحالة من الملائكة في وقوفهم أمام ربهم أراد منّا ﷺ أن نرتقي بحالنا، ونعظم الموقف، لنصل كحال الملائكة في اجتماعهم طائعين لله سبحانه، يقول ﷺ لإصحابه «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟» فقالوا يا رسول الله، وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: «يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف»(١).

إنك لتعجب من حال الصحابة رضوان عليهم حين ذكر ﷺ صفوف الملائكة عند ربها، فبادروا بسؤاله ﷺ عن صفوف الملائكة، فقالوا: وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ لأجل أن يعرفوا الوقوف الصحيح فيمتثلوه، ويرتقوا في الخلق والتعامل مع الله جل في علاه.

كان من حرصه ﷺ وعنايته بالصفوف تسويتها بنفسه، بقوله وفعله، فكان يلتفت إلى المصلين بوجهه فيأمرهم بتسوية الصفوف ورصّها، ووردت ألفاظ التسوية عن النبي ﷺ بكل ما يدل على رصّ الصفوف وتسويتِها وانتظامها وعدم الإخلال بها، لتصبح كالبنيان المرصوص، جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: أقيمت

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٤٣٠.

الصلاة، فأقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه، فقال: «أقيموا صفوفكم، وتراصوا، فإني أراكم من وراء ظهري»[(١)]، وقال ﷺ: «سووا صفوفكم، فإن تسوية الصف، من تمام الصلاة»[(٢)].

ومن شدة اهتمامه عليه الصلاة والسلام بتسوية الصفوف يخرج إلى الصفوف يعدلهُا بنفسه، ويقيمها بيده الكريمة، فكان يمسح مناكب أصحابه يسوي الصفوف، قال أبو مسعود رضي الله عنه، كان ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة، ويقول: «استووا، ولا تختلفوا، فتختلف قلوبكم»[(٣)]، فكان ﷺ يعدل الصفوف بنفسه، ويخبر أن تسوية الصفوف توجب تآلف القلوب وتقاربها، وترك التسوية سبب اختلاف القلوب وتنافرها.

والصحابة رضوان الله عليهم استجابوا لإرشاد النبي ﷺ في رصّ الصفوف وتسويتها، وامتثلوا أمره، وشابهوا الملائكة، يقول أنس رضي الله عنه: وكان أحدنا يلزق منكبه بمنكب صاحبه، وقدمه بقدمه[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٧١٩.
(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٧٢٣، ومسلم، حديث رقم: ٤٣٣، واللفظ له.
(٣) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٤٣٢.
(٤) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٧٢٥.

سار الصحابة عل هذا النهج من الاهتمام بتسوية الصفوف ورصها، فكانت سـنة الخلفاء الراشـدين من بعـد، جاء عن عمر رضي الله عنه تسـويته للصفوف، فكان إذا مر بين الصفين، قال: اسـتووا، حتى إذا لم يرَ فيهن خللا تقدم فكبر[١]، وروي عنه رضي لله عنه، أنه كان يوكل رجالا بإقامة الصفوف، ولا يكبر حتـى يخبـر أن الصفوف قـد اسـتوت، وروي عـن علي وعثمان رضي الله عنهما أنهما كانا يتعاهدان ذلك، ويقولان: استووا، وكان علي رضي الله عنه يقول: تقدم يا فلان، تأخر يا فلان،[٢]، وكان ابن عمر إذا أقيمت الصلاة اسـتقبل النـاس بوجهه، ثم قـال: أقيموا صفوفكم، استووا قياما، يريد الله بكم هدي الملائكة، ثم يقول: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾، تأخر فلان، تقدم فلان، ثم يتقدم فيكبر[٣].

قيل إن المسلمين إنّما اصطفوا في الصلاة منذ نزل قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ [الصافات: ١٦٥]، ولا يصطفُ أحدُ من أهل الملـل غيرَ المسـلمين[٤]، فهـذه الحالة من رص الصفوف وتسـويتها والعناية الأكيدة بانتظامها من خصائص

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٣٧٠٠.
(٢) أخرجه الترمذي، حديث رقم: ٢٢٧، وصححه الألباني.
(٣) فتح الباري لابن رجب (٢٦٩/٦).
(٤) تفسير ابن عطية (٤٨٩/٤).

هذه الأمة، جاء عن الأمم السابقة أنهم يصلون منفردين كل على حدة، فخص الله هذه الأمة برص الصفوف وتسويتها، قال ﷺ: «فضّلنا على الناس بثلاث وذكر منها، جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة..»(١)، وروي أن تسوية الصفوف من صفة هذه الأمة في الكتب السالفة: صَفُهم في الصلاة، كصفِهم في القتال(٢).

ولأهمية تراص الصفوف وانتظامها، أقسم الله بها، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفّٗا﴾ [الصافات: ١]، فإقسام الله تعالى بصفة الملائكة في طريقة صفوفها وتراصها وانتظامها دليل محبة الله لها.

❀❀❀

---

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٥٢٢.

(٢) فتح الباري لابن رجب (٦/٢٦٩).



الفصـل الثالث

«بين يدي اللّٰه تعالى»

- تحـريـمها التكبير.
- ﴿في صلاتهم خاشعون﴾.
- القيام لله تعالى.
- استفتاح الصلاة.
- ﴿فاستعذ بالله من الشيطان﴾.
- سورة الصلاة.
- اقرؤوا ما تيسر من الـقـرآن.
- تعظيم الرب.
- الاعتدال من الركوع.
- أشرف المواضع.
- الجلوس بين السجدتين.
- التشهد.
- الصلاة الإبراهيمية.
- يتخير من الدعاء ما شاء.
- تحليلها التسليم.

تحريمها التكبير..

بعد أن تهيأ المصلي واستعد للبدء في الصلاة، والوقوف بين يدي ربه ومولاه، أُذن له بالبدء في الصلة بربه ومناجاته، وأول ما يبدأ به المصلي حين يريد الدخول في الصلاة أن يرفع يديه مكبرا الله تعالى، قائلا: «الله أكبر»، ومشهد رفع اليدين إلى أعلى حذو الأذنين، مع قول «الله أكبر»، وهو مستقبل القبلة، مشهد يملؤُه التعظيم والتبجيل للموقوف له، ومن يتأمله يستدل على جلالة الدخول في الصلاة، فبمجرد فعل ذلك يدخل المصلي لعالم آخر، بعيدا عن عالم الدنيا ومشاغلها ولهوها، يكون مع الله جل في علاه ومناجاته ودعائه وذكره والتذلل له.

قال ﷺ: «تحريمها التكبير»[(١)]، فبتكبيرة الإحرام حرم على المصلي ما كان مباحاً له قبلها؛ من الأكل والشرب والكلام والالتفات وغيره، فالدخول في الصلاة والوقوف بين يدي الله

(١) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٦١، والترمذي، حديث رقم: ٣، وابن ماجه، حديث رقم: ٢٧٥، وأحمد، حديث رقم: ١٠٠٦.

يكون العبد في حالة خاصة، مشتغلا بذكر الله ومناجاته وتلاوة كلامه، وبالتكبير ينقطع عن الدنيا ولذائذها وعن الاشتغال بها والتفكير فيها، وبالتكبير يترك المصلي تعبدا لله ما كان مباحا له من أمور الدنيا ليقبل بقلبه ووجه إلى الله سبحانه، فقول «الله أكبر» تقتضي فصل الحياة الدنيا ومشاغلها وملذاتها، والدخول في عالم آخر من الصلة بالله تعالى.

فما معنى «الله أكبر»: من معانيها أن الله جل في علاه أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شغل، وأعلى مطلوب، والاشتغال بالصلة به أعلى مقصود، ومناجاته أجل من كل حديث، والاتصال به أحسن من الركون للدنيا واستحضارها أثناء الصلة بالله.

وحقيقة «التكبير»: أنه عبادة قلبية عظيمة، تقتضي تعظيم الله تعالى وإجلاله، والإقبال عليه، وترك هموم الدنيا ومشاغلها وراءك؛ من تجارة وزوجة وولد وهموم ومشاكل وما تحب منها وما تكره دون أدنى تفكير وجلب لها، فالله أكبر من أن يُشغل عنه، أو يلتهى عن مناجاته.

لا ينبغي للمصلي أن يلتفت إلى غير صلاته ومناجاته لا بوجهه ولا بقلبه، وأن يلزم الذل لله والانكسار له، ولو دخل العبد في صلاته، واصطحب معه همومَ الدنيا ومشاكلَها وأبحر

فيها وتشاغل عن تعظيم الموقف، ولم يجاهد نفسَه في التغلب عليها، كان تكبيره لا معنى له، وأصبح تعظيمه لله بلسانه لا بقلبه.

لما كان الشيطان وسواسا، فمن أولى مهامه أن يوسوس للمصلي، ويشغله ويشتته ويصرف قلبه، لذا كان تكبير المصلي لله مستمراً معه في جميع صلاته، متكررا في أغلب مواضع الصلاة وانتقالاتها؛ حتى لا يترك لفكره مجالا لهمومه، واسترسال خواطره، ولا يكن للشيطان نصيب من إشغاله، فكلما حدثته نفسُه وجال فكره وانصرف عن الصلاة، إذ به يكبّر الله ويعظمه، فيعود في خشوعه وإقباله ولذة مناجاته لمولاه، وهذه المجاهدة لا تتأتّى إلا لمن عظّم الموقف بين يدي الله، وأُلهم الخشوع، وعرف معاني ذكر الله.

في صلاة العصر اثنتان وعشرون تكبيرة يكبرها المصلي، تكبيرات متتالية ومتفرقة، فكلما ذهب فكر المصلي وجال خاطره وحدثته نفسه وانصرف قلبه أتى تكبير الله وتعظيمه ليعود بالمصلي، ويردّ شروده، ويعيده إلى الاتصال بالله ومناجاته.

ينبغي أن تحافظ تكبيرات الصلاة المتتالية على بقاء القلب والفكر والجسد داخل الصلاة، وعلى المصلي أن يجاهد نفسه

على أن يواطئ قلبَه لسـانه حال التكبيـر، ليتحقق المقصود، ويحصل التعظيم والإجلال.

أما «صوت التكبير» وجرْسه، فقد جرت عادة بعض الأئمة أن يجعلوا لكل تكبيرة من تكبيرات الانتقال صوتا ونَبْرة خاصة، فصوتٌ لتكبيـرة الإحرام وصوتٌ لتكبيـرات الركوع، وصوتٌ للسجود يمد بها صوتَه، وهكذا، فيعرف المأموم أن الإمام وصل لهذا الركن بجرْس صوته، فيتحرك في الصلاة وينتقل من ركن لآخر بنَبْرة الإمام للتكبيرات، وقد نبه بعض العلماء[1]إلى عدم تحديـد نَبْرة خاصة لـكل تكبيرة من تكبيـرات الانتقال، لأن اختلاف أصـوات التكبير من ركـن إلى ركن تفقـد المصلي الخشـوعَ في الصلاة وحضورَ القلب وتجعلـه يتحرك كأنه آلة لا يشعر إلا والإمام قد سلم وقضيت الصلاة، أمّا إذا كان الإمام لا يميز في صوته بين التكبيرات، ويجعـل له نبرته ثابتة، فإن ذلك يؤدي لخشـوع المصلي وانتباهه ويقظته، فلو شرد فكره وسرح خاطره وسها فإن المأموم عند تكبير إمامه ينتبه لموضع الصلاة، ويجاهد نفسه في الخشوع وحضور القلب.

❀❀❀

(١) الشرح الممتع (٣/٢٤).

﴿في صلاتهم خاشعون﴾

لا معنى لأن يطمئن المصلي في أفعاله، وتسكن أعضاؤه وجوارحه، وقلبُه مشتغل عن الصلاة والمناجاة، وفكرُه سارح عن معانيها، غير مستشعر قدر الصلاة وعظمتها، فمشهد الوقوف بين يدي الله تعالى حقيقتُه خشوع القلب والجوارح معا.

والله سبحانه وتعالى جعل محل الخشوع وأساسه القلب، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]. يقول ابن القيم رحمه الله: والخشوع قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل، والجمعية عليه، وأجمع العارفون على أن الخشوع محله القلب، وثمرته على الجوارح، وهي تظهره، ورأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في الصلاة، فقال: لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه. وقال حذيفة رضي الله عنه: إياكم وخشوع النفاق، فقيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع، ورأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه

رجلا طأطأ رقبته في الصلاة، فقال: يا صاحب الرقبة، ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب، إنما الخشوع في القلوب[(١)].

والله تعالى رتّب الفلاح والفوز بأعلى الدرجات يوم القيامة بجنة الفردوس على أسباب، أولها الخشوع في الصلاة، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٢]، وكان جزاؤهم أعمالهم وخشوعهم أنهم، ﴿يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١١].

يقول ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الخشوع في الصلاة: هو حضور القلب بين يدي الله تعالى، مستحضرا لقربه، فيسكن لذلك قلبه، وتطمئن نفسه، وتسكن حركاته، ويقل التفاته، متأدبا بين يدي ربه، مستحضرا جميع ما يقوله ويفعله في صلاته، من أول صلاته إلى آخرها، فتنتفي بذلك الوساوس والأفكار الردية، وهذا روح الصلاة، والمقصود منها، وهو الذي يكتب للعبد، فالصلاة التي لا خشوع فيها ولا حضور قلب، وإن كانت مجزئة مثابا عليها، فإن الثواب على حسب ما يعقل القلب منها.[(٢)]

وإذا خشع القلب لله تعالى واستكان لربه، واستحضر

---

(١) مدارج السالكين، (٥١٦/١).

(٢) تفسير السعدي، (٥٤٧/١).

المصلي معاني الصلاة، وناجى ربه تعالى حق المناجاة، فعندئذ يصل للكمال في صلاته، ويكتب له من الأجر بقدر حضوره فيها، يقول ﷺ: «إن العبد ليصلي الصلاة ما يكتب له منها إلا عشرها، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها نصفها»[(١)]، وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «يكتب للرجل من صلاته ما عَقِلَ منها»[(٢)].

جاء الفضل العظيم والثواب الجزيل لمن أقبل على صلاته إقبالا كاملا بقلبه وبدنه وخشع فيها، واشتغل بمناجاة الله ودعائه، وجاهد شيطانه ولم يلتفت لخطراته ووساوسه وتحديثه، قال رسول الله ﷺ: «من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم صلى ركعتين لا يُحَدِّث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه»[(٣)]، وقال ﷺ: «ما من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء، ويصلي ركعتين، يقبل بقلبه ووجهه عليهما، إلا وجبت له الجنة»[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٧٩٦، وأحمد، حديث رقم: ١٨٨٩٤، وصححه الألباني.

(٢) حلية الأولياء (٦١/٧).

(٣) أخرجه البخاري، حديث رقم: ١٥٩، ومسلم، حديث رقم: ٢٢٦.

(٤) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٢٣٤، وأبو داود، حديث رقم: ٩٠٦، واللفظ له، والنسائي، حديث رقم: ١٥١، وأحمد، حديث رقم: ١٧٣١٤.

في الحديث السابق رتب النبي ﷺ الأجرَ العظيم ودخول الجنة وغفران الذنوب بصلاة ركعتين لله تعالى، ولكن بشروط، منها الإقبال الكلي فيها بالقلب والبدن، وعدم الانصراف واتباع الخواطر وسرحان الذهن عنها، وهذا أمر يحتاج مجاهدة، ودفع مستمر لتحديث الشيطان وتشكيكه، واستعاذة بالله من شره، والتجاء إلى الله سبحانه منه، فلا عاصم لأحد من وسوسة الشيطان وخواطره غير الله.

يقول ابن دقيق العيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله ﷺ «ولا يُحَدِّث فيهما نفسه»، إشارة إلى الخواطر والوساوس الواردة على النفس، وهي على قسمين:

أحدهما: ما يهجم هجما يتعذر دفعه عن النفس.

والثاني: ما تسترسل معه النفس، ويمكن قطعه ودفعه.

فيمكن أن يحمل الحديث على هذا النوع الثاني، فيخرج عنه النوع الأول، لعسر اعتباره، ويشهد لذلك: لفظة «يُحَدِّث نفسه» فإنه يقتضي تكسبا منه، وتفعلا لهذا الحديث، ويمكن أن يحمل على النوعين معا، إلا أن العسر إنما يجب دفعه عما يتعلق بالتكاليف، والحديث إنما يقتضي ترتب ثواب

مخصوص على عمل مخصوص، فمن حصل له ذلك العمل: حصل له ذلك الثواب، ومن لا، فلا.[١]

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقا على الحديث السابق: وما زال في المصلين من هو كذلك، كما قال سعد بن معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فيّ ثلاث خصال، لو كنت في سائر أحوالي أكون فيهن: كنت أنا أنا؛ إذا كنت في الصلاة لا أحدث نفسي بغير ما أنا فيه، وإذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثا لا يقع في قلبي ريب أنه الحق، وإذا كنت في جنازة لم أحدث نفسي بغير ما تقول ويقال لها، وكان مسلمة بن بشار يصلي في المسجد، فانهدم طائفة منه وقام الناس، وهو في الصلاة لم يشعر، وكان عبد الله بن الزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يسجد، فأتى المنجنيق فأخذ طائفة من ثوبه، وهو في الصلاة لا يرفع رأسه، وقالوا لعامر بن عبد القيس: أتحدث نفسك بشيء في الصلاة فقال: أو شيء أحب إلي من الصلاة أحدث به نفسي؟ قالوا: إنا لنحدث أنفسنا في الصلاة، فقال: أبالجنة والحور ونحو ذلك؟ فقالوا: لا، ولكن بأهلينا وأموالنا، فقال: لأن تختلف الأَسِنّة فيّ أحب إلي، وأمثال هذا متعدد.[٢]

---

(١) إحكام الأحكام لابن دقيق (٨٦/١).

(٢) مجموع الفتاوى (٦٠٥/٢).

ولما كان العبد ضعيفا أمام شـهواته، ومن طبعه أن يهتم لأمر الناس ومشـاهدتهم له، ما يؤثر أحيانا على إخلاصه لله تعالى، فيتخشّع أمام الناس ويتكلف أكثر مما لو صلى منفردا، كانت صلاته في بيته منفردا خيرا من صلاته على مشهد الناس سـوى الصلوات الخمس، قال ﷺ: «فإن أفضل الصلاة صلاة المرء فـي بيتـه إلا المكتوبة»[(١)]، قـال ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ: لأن الصلاة في البيت أقرب إلى الإخلاص، وأبعد من الرياء، وهو من عمل السرّ، وفِعْلُه في المسجد علانية، والسرّ أفضل[(٢)].

فلا يتحصل للمصلي خشوع القلب لله تعالى إلا إذا عرف قدر الصلاة، واستشـعر منزلـة الوقوف بين يـدي الله وعِظَم مناجاته، وكلما كان المصلي أعلم بالله تعالى وأعرف، كان حظّه من الخشوع لله والتذلل والخضوع أكبر.

❀❀❀

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٧٣١، واللفظ له، ومسلم، حديث رقم: ٧٨١.
(٢) المغني، (١٠٤/٢).

حتى تطمئن..

حين يقف المصلي بين يدي ربه خاشعا، مناجيا له تعالى داعيا ذاكرا، فيجب عليه عندئذ أن يجلّ الموقف، ويجمّل الصلاة بحسن الأداء، والتأنّي في الأفعال والانتقالات، والطمأنينة في الأركان، وذلك الأجدر بمقام الصلاة وقدرها، فالطمأنينة تجسيد لما في القلب من الإيمان والتعظيم، وتعبير عما فيه من الخشوع والخضوع لله تعالى.

الطمأنينة هي سكون حركة الأعضاء، واستقرارها في كل ركن من الأركان، قال ﷺ: «لا تجزئ صلاة الرجل حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود»[1]، أي: حتى يستوي ظهره، فيكون مستقيما غير منحن، ساكنا غير متحرك، مطمئنا في ركوعه وسجوده.

---

(١) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٨٥٥، واللفظ له، والترمذي، حديث رقم: ٢٦٥، وقال حسن صحيح، والنسائي، حديث رقم: ١٠٧٢، وابن ماجة، حديث رقم: ٨٧٠، وأحمد، حديث رقم: ١٧٠٧٣.

وقَدْر الطمأنينة الواجبة أدنى سكون بين حركتي الخفض والرفع، وقيل إنها مقدّرة بقدر تسبيحة واحدة[١]، جاء عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه في صفة صلاة النبي ﷺ: «وإذا ركع أمكن يديه من ركبتيه، ثم هَصَر ظهره، فإذا رفع رأسه استوى حتى يعود كل فقار مكانه»[٢].

وأما الإسراع في أداء الصلاة ونقرها، وعدم السكون في أفعالها، فهي صفة صلاة المنافق؛ الذي ضعف إيمانه، ولم يجلّ أمر الصلاة، قال ﷺ عن صلاته، «تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان، قام فنقرها أربعا، لا يذكر الله فيها إلا قليلا»[٣]، ونهى ﷺ عن الإسراع والعجلة، فجاء أنه ﷺ نهى عن نقر الغراب[٤]، والتشبيه بنقر الغراب في السرعة والاستعجال، وعدم السكون والثبات والاستقرار في الركن الذي انتقل إليه.

---

(١) فتح الباري لابن رجب، (١٧٢/٧).
(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٨٢٨.
(٣) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٦٢٢.
(٤) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٨٦٢، والنسائي، حديث رقم: ١١١٢، وابن ماجه حديث رقم: ١٤٢٨، وأحمد، حديث رقم: ١٥٥٣٢.

يحسُـــن بالعبد بين يدي ســـيده ومولاه حين وَفَد إليه أن يطمئن ويتأنّى في الأركان، ومن غير اللائق أن يسرع ويستعجل في الأداء، فإنه دليل استثقال للعبادة، وعدم انشراح وسرور فيها، ورغبة في التخلص والخروج منها، والوافد إلى الله تعالى ينبغي له أن يحسن وفادته، ويبذل جهده في تحسين قيامه وصلاته.

الطمأنينة والتأني في أداء الصلاة سبب موصل للخشوع، وللتأمـــل فـــي أذكار الصـــلاة وأدعيتهـــا وأفعالهـــا، يقـــول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويستحيل حصول الخشوع مع العجلة والنقر قطعا، بل لا يحصل الخشوع قط إلا مع الطمأنينة، وكلما زاد طمأنينة ازداد خشوعا، وكلما قلّ خشوعه اشتدت عجلته، حتى تصير حركة يديه بمنزلة العبث الذي لا يصحبه خشوع[(١)].

الإســـراع فـــي الأداء وعـــدم الطمأنينة قد يبطـــل الصلاة ويفسدها، فتكون طهارته وقدومه وصلاته مردودة غير مقبولة، يلزمه أن يعيدها على الوجه الصحيح، بما يليق بمقام الصلاة وبقدرها.

لما دخل رجل مســـجد رســـول الله ﷺ فصلى، فسلم على النبي ﷺ، فرد وقال: «ارجعْ فصل، فإنك لم تصل»، فرجع يصلي

(١) الصلاة وأحكام تاركها، ص ١٤٠.

كما صلى، ثم جاء، فسلم على النبي ﷺ، فقال: «ارجع فصل، فإنك لم تصل»، فرجع يصلي كما صلى، ثم جاء، فسلم على النبي ﷺ، فقال: «ارجع فصل، فإنك لم تصل»، فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره، فعلمني، فقال: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعا، ثم ارفع حتى تعدل قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا، وافعل ذلك في صلاتك كلها»[١]، هذا الرجل الذي أساء في صلاته وأسرع في أدائها ولم يطمئن في أركانها حتى أخلّ بصلاته، أمره رسول الله ﷺ بالإعادة، وكان ﷺ يقول له عند كل ركن منها «حتى تطمئن»، فتأمّل كيف علّم ﷺ الرجلَ كيفية الطمأنينة، وأرشده إلى التأنّي في الأركان.

بين أهل العلم أن الطمأنينة ركن من أركان الصلاة، وأركان الصلاة لا تتم بدونها، يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والطمأنينة في الصلاة واجبة، وتاركها مسيء، باتفاق الأئمة بل جمهور أئمة الإسلام[٢]، فيجب تحقيق الطمأنينة في الركوع والسجود والاعتدال وجميع أفعال الصلاة، كما قال ﷺ «وافعل ذلك في صلاتك كلها».

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٧٥٧، ومسلم، حديث رقم: ٣٩٧.

(٢) مجموع الفتاوى، (٢/٢١٩).

ومن أتى بالطمأنينة، وتأنّى في صلاته، وأدى الأركان على وجهها، فقد تمت صلاته، ومن أخلّ بالأركان ولم يطمئن، فقد ردت الصلاة وانتقص منها، جاء في روايــة أخرى في حديث المسيء صلاته، «فإذا فعلت هذا فقد تمت صلاتك، وما انْتَقصت من هذا شيئا، فإنما انتقصته من صلاتك»[١]، وقد رأى حذيفة رضي الله عنه رجلا لا يُتــمّ ركوعه ولا ســجوده، فلما قضــى صلاته قال له حذيفة: ما صليت. ولو مُتّ مُتّ على غير سنة محمد ﷺ .[٢]

❀❀❀

(١) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٨٥٦، والنسائي، حديث رقم: ١٠٥٣، وأحمد، حديث رقم: ١٨٩٩٧، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٣٨٩.

القيام لله تعالى..

إن هيئـــة القيام في الصـــلاة لا بد أن تتجلـــى فيها صور الإجلال والتعظيم، ومنظر التقديـــس والتبجيل؛ لأن المصلي يقف بين يدي رب العالمين، ذي الكبرياء والعظمة، المتعالي سبحانه، قال ﷺ: «العز إزارُه، والكبرياء رداؤُه، فمن ينازعني عذبته»[1]، فمن كانت صفاته كلهـــا عظمة وعلوا، فحري بمن يقف بين يديه أن يظهر كل معاني الإجلال والاحترام، وصفات التذلل والتواضع والانكسار.

وهيئات الجوارح وحركات الجسد تدلّ على ما في القلب من تعظيم وإجلال، أو ما فيه مـــن تنقّص وازدراء، فإذا عرف المصلي قدر القيام بيـــن يدي الله، وامتلأ القلـــب تعظيما لله تعالى، انعكس ذلك على جوارحه.

يقول ربنا الله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، أي: خاشعين ذليلين مستكينين بين يديه، وهذا الأمر مستلزم ترك

---

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: ١٣٦.

الكلام في الصلاة لمنافاته إياها، ولهذا لما امتنع النبي ﷺ من الرد على ابن مسعود حين سلم عليه وهو في الصلاة، اعتذر إليه بذلك، وقال: «إن في الصلاة لشغلاً[1]»[2].

حين يرفع المصلي يديه مكبرا تكبيرة الإحرام، فإنه يكبر الله وهو في حالة المبجّل المعظم لله تعالى، وهيئة المنكسر، وصورة العبد بين يدي سيده.

إننا نشاهد في مراسم التقدير والاحترام عند السادة والكبراء أنها تكون بالقيام لهم، والسكون أمامهم، وعظيم الأدب بين أيديهم، والسيد الله تبارك وتعالى، الصمد الذي قد كمُل في سؤدده، أجلّ وأعظم من كل أحد، والانكسار والتذلل والخضوع لا يصرف لأحد سواه، ولا ينبغي أن يكون إلا لله تعالى.

القيام في الصلاة من أبرز الهيئات التي تدل على إجلال الله تعالى، فهو دليل الاستعداد والدخول في العبادة، وأما الجلوس والاتكاء والاستلقاء دليل التراخي وعدم الإقبال، وعلامة التثاقل وقلة الاحترام، ولذا بين العلماء أن القيام في الفريضة عند القدرة والاستطاعة ركن من أركان الصلاة.

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ١٢١٦، ومسلم، حديث رقم: ٥٣٨.

(٢) تفسير ابن كثير (٦٥٤/١).

جاءت صفة القيام فـــي الصلاة بهيئةٍ تشــعر بالتقدير والإجلال مع الخضوع والانكسار؛ باعتدالٍ في القامة على كلتا القدميـــن، والقدمـــان معتدلتان غيـــر مصفوفتين أو ملتزقتين ببعض، والمصلي غير منحن ولا متكئ أو معتمد على يديه أو مستند على حائط أو عمود، يرمي بصره أمامه، غيـــر ملتفـــت، ولا رافع بصره إلى الســـماء، أو منشـــغل بالمطالعة والنظر فيما يلهي، منهمك في المناجاة والدعاء وتعظيم الله تعالى وتمجيده وتســـبيحه، ومن فكّر فيما هو فيه، وفي عظمة من يقف بين يديه، فسيمتلئ قلبه تعظيما وإجلالا وتقديرا ينعكس على هيئته وجوارحه وقيامه، فيثمر خشوعا وسكونا وخضوعا.

ويـــدا المصلي حـــال قيامـــه دالتـــان على غايـــة التقدير والإجلال، قـــد وضعتا مقبوضـــة اليمنى على اليســـرى، غير مسترسلة ولا في جيبه أو على خصره، ولا في موضع يوحي بعدم المبالاة والاهتمام والتقدير.

وقبْضُ اليمنى على اليسرى بهذه الكيفية من كمال الأدب، والتبجيل لله، والناس يؤمرون بذلك بين يدي السادة والملوك، والله جل شأنه أعظم وأجل، والأدب بين يديه يجب أن يكون على أكمله وأفضله، وإذا أراد المصلي إرسالهما لتعب أو نحوه،

فلا ينفض يديه؛ بل يرسلهما إرسالا خفيفاً رفيقا، تعظيما للموقوف بين يديه.

ومن كمال تعظيم المولى تعالى نهيه ﷺ عن أمور تخل بالأدب مع الله حال القيام، ومن ذلك ما نهي ﷺ عنه من أن يغطي الرجل فاه»[(١)]، وتغطية المصلي لوجهه أو لثْمه حال قيامه بين يدي الله يُنْبِئ عن استعلاء، أو عدم مبالاة، أو عدم تقدير وإجلال.

ومما يكره فعله العبث أثناء الصلاة، كتشبيك الأصابع وفرقعتها، أو العبث بالملابس أو اللحية أو بشيء يشغله عن قيامه لربه، أو يقلل من عظمة الموقف، جاء عن شعبة مولى ابن عباس رضي الله عنهما قال: صليت إلى جنب ابن عباس ففقَعْت أصابعي، فلما قضيت الصلاة قال: «لا أم لك، تُقَعْقِع أصابعك وأنت في الصلاة»[(٢)].

ومن ذلك النهي عن الكلام العَمْد والضحك، والأكل والشرب، والحركة الكثيرة، وغيرها مما ينهى عنه، ويخل بالأدب بين يدي الله.

---

(١) أخرجه أبي داود، حديث رقم: ٦٤٣، وابن ماجه، حديث رقم: ٩٦٦، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه ابن ابي شيبة، حديث رقم: ٧٢٨٠، وقال الألباني سنده حسن.

ومن كمال القيام لله تعالى اتزان المصلي في هيئته وطمأنينته وسكونه واعتداله عند أداء الأركان، وعدم التشبه بأفعال الحيوان، فأفعال الحيوانات كرم الله المسلم أن يماثلها، والمصلي حال قيامه لله في أشرف حالاته، جاء عن رسول ﷺ أنه نهى عن نقرة الغراب، وافتراش السبع، وأن يُوطِن[١] الرجل المكان في المسجد كما يوطن البعير[٢]، فنقرة الغراب إشارة إلى الاستعجال في الإتيان بالأركان، فلا يكاد يمس وجهه الأرض إلا ويرفعه دون طمأنينة، وافتراش السَّبُع بأن يمدّ ذراعيه ويفرشهما على الأرض كالسباع والكلاب، خلاف ما جاءت به السنة من رفعهما ومجافاتهما عن جنبيه وعن الأرض، قال ﷺ: «اعتدلوا في السجود، ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب»[٣]، وأما إيطان البعير الذي نهى ﷺ عنه بأن يألف المصلي مكانًا معلومًا من المسجد لا يصلِّي إلَّا فيه.

وجاء نهيه ﷺ عن التشبه بالخيل حال اضطرابها وحركتها بأيديها وأرجلها عند السلام من الصلاة، جاء عن جابر بن

---

(١) يوطن، أي: يألف المكان لا يصلي إلا فيه.

(٢) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٨٦٢، والنسائي، حديث رقم: ١١١٢، وابن ماجه حديث رقم: ١٤٢٨، وأحمد، حديث رقم: ١٥٥٣٢.

(٣) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٨٢٢، ومسلم، حديث رقم: ٤٩٣.

سـمرة، قال: خرج علينا رسـول الله ﷺ فقال: «ما لي أراكم رافعـي أيديكـم كأنها أذْنـابُ خيْلٍ شُـمْسٍ؟ اسـكنوا في الصلاة»[١]، وهذه الحالة التـي نهى عنها ﷺ، المراد بها رفع الأيدي والإشـارة عن التسـليم من الصلاة، فكانوا يشيرون بأيديهم للسلام يمينا وشمالا، فنهاهم ﷺ عن هذا الفعل الذي فيه تشبه بالحيوان، وليس فيها سكون ولا طمأنينة تناسب مقام الصلاة، فقال لهم ﷺ: «اسكنوا في الصلاة»، وأمرهم بالاكتفاء بالالتفات دون الإشارة، كما جاء في رواية أخرى «إنما يكفي أحدكم أن يضع يده على فخذه، ثم يسلم على أخيه من على يمينه وشماله».[٢]

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جاء النهى في الصلاة عن التشـبه بشبه أنواع من الحيوان يفعلها أو كثيرا منها الجهال، نهى عن نقر كنقر الغراب والتفات كالتفات الثعلب وإقعاء كإقعاء الكلب وافتراش كافتراش السبع وبروك كبروك الجمل ورفع الأيدي يمينا وشمالا عند السلام كأذناب الخيل.[٣]

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٤٣٠.
(٢) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٤٣١.
(٣) الفروسية، (ص: ١٢٢).

فهذه أفعال نُهي المصلي عن فعلها، منعا للتشــبُّه ببعض الحيوانات مما تنقص أجر المصلي وثوابه، وتخلّ بالأدب بين يــدي الله، وكل هيئة جاءت عــن رســول الله ﷺ وفَعَلها فقد تضمنت إجلال الله تعالى وتعظيمه.

ولو نظرنا إلى المكروهات في الصلاة والمنهيات لعلمنا أن حالة المصلي ينبغي أن تكون خشــوعا وســكونا وتذللا وخضوعا بين يدي الله مصحوبا بالإجــلال والتعظيم للمولى تعالى، يقول الله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾، يقول مجاهد: من القنوت الخشوع، وخفض الجناح من رهبة الله، وكان الفقهاء من أصحاب محمد ﷺ إذا قام أحدهم إلى الصلاة، لم يلتفت، ولم يقلب الحصى، ولم يحدّث نفسَه بشيء من أمر الدنيا إلا ناسيا حتى ينصرف[1].

❀❀❀

(١) تفسير الطبري (٥/٢٣٥).

استفتاح الصلاة..

بعد أن كبر المصلي وشرع في صلاته واستعد لمناجاة ربه، كان عليه أن يبدأ صلاته ويستفتح مناجاته بأدعية خاصة تناسب المقام وتليق بالحال، ومن يريد أن يقف بين يدي ملوك الدنيا وساداتها يطلب منهم ويخاطبهم فسيبدأ طلبه بالمدح والثناء والتبجيل، وذكر المحاسن والمآثر، ثم يشرع في طلبه ومقصوده، والله جل في علاه أحق وأولى وأعظم، ومن كمال الأدب مع الله تعالى أن يستفتح مناجاته لله ووقوفه بين يديه بحمد الله والثناء عليه لله وتمجيده وتقديسه سبحانه.

وردت عدد من الأدعية يستفتح بها المصلي مناجاته وذكره، منها قول: «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك»[(١)]، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ عن معنى

(١) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٧٧٦، والترمذي، حديث رقم: ٢٤٢، والنسائي، حديث رقم: ٨٩٩، وابن ماجه، حديث رقم: ٨٠٤، وأحمد، حديث رقم: ١١٤٧٣.

هذا الدعاء: شاهدَ بقلبه رباً منزّها عن كل عيب، سالما من كل نقص، محمودا بكل حمد، فحمده يتضمن وصفه بكل كمال، وذلك يستلزم براءته من كل نقص، تبارك اسمه وتعالى جده، أي ارتفعت عظمته وجلت فوق كل عظمة، وعلا شأنه على كل شأن، وقهر سلطانه على كل سلطان، فتعالى جده أن يكون معه شريك في ملكه وربوبيته أو في إلهيته أو في أفعاله أو في صفاته كما قال تعالى عن مؤمن الجن: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣].

ومن الأدعية التي تضمنت حمد الله وتسبيحه والثناء عليه، قول: «الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه»، قال ﷺ: «لقد رأيت اثني عشر ملكا يبتدرونها، أيهم يرفعها»(١).

ومن الأدعية أيضا قول: «الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا»، قال ﷺ: «عجبت لها، فتحت لها أبواب السماء»(٢).

فما سبق من الأدعية وغيرها مما كان يستفتح بها النبي ﷺ صلاته تتضمن حمد الله والثناء عليه وتسبيحه وتقديسه قبل

---

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٦٠٠.

(٢) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٦٠١.

المناجاة والدعاء، والاستفتاح بالثناء والتمجيد والتسبيح لله تعالى يعتبر كالمقدمة للصلاة، والفاتحة بين يدي المناجاة، والأدب قبل الطلب والسؤال.

وجاء عنه ﷺ أنه يستفتح صلاته بما يتضمن الاعتراف بالذنب والخطايا وطلب عفو الله ومغفرته، منها قول: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي، كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد»[1]، فهذا الدعاء المتضمن للاستغفار والتوبة ناسب أيضا افتتاح الصلاة، لتضمنه الاعتراف بالذنوب والخطايا، وطلب محو الذنوب والسيئات، لتطْهر النفس قبل مناجاة الله، ويتزكى المصلي ويصفو، وهذا من كمال الأدب مع الله، أن يبدأ صلاته بما يتضمن الانكسار، والاعتراف بالخطأ والتقصير، والافتقار إلى عفو الله الكريم.

ومن أدعية الاستفتاح ما جمعت بين حمد الله والثناء عليه وتكبيره وتمجيده مع التوبة والاستغفار من الذنوب والخطايا، كدعاء «اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن،

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٧٤٤، ومسلم، حديث رقم: ٥٩٨.

ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك حق، وقولك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، والنبيون حق، ومحمد حق، اللهم لك أسلمت، وعليك توكلت، وبك آمنت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت».[١]

فهذه جملة من الأدعية التي كان يستفتح بها النبي ﷺ صلاته، جميعها تتضمن التذلل لله تعالى والخضوع له والاعتراف بعظمة الله ومجده وعلوه، أو طلب عفوه ومغفرته، فيبدأ المصلي بها صلاته، وقبل أن يشرع في مناجاته، فيكون منكسرا لربه لله تعالى ذليلا خاضعا.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أنواع الاستفتاح للصلاة ثلاثة، وهي أنواع الأذكار مطلقا بعد القرآن، أعلاها ما كان ثناء على الله، ويليه ما كان خبرا من العبد عن عبادة الله، والثالث ما كان دعاء للعبد[٢]، ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فأفضل أنواع الاستفتاح ما كان ثناء محضا مثل: «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٦٣١٧، ومسلم، حديث رقم: ٧٦٩.

(٢) مجموع الفتاوى (٣٧٦/٢٢).

جدك. ولا إله غيرك»، وقوله: «الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا»، ولكن ذاك فيه من الثناء ما ليس في هذا فإنه تضمن ذكر «الباقيات الصالحات» التي هي أفضل الكلام بعد القرآن، وتضمن قوله: «تبارك اسمك وتعالى جدك»، وهما من القرآن أيضا، ولهذا كان أكثر السلف يستفتحون به، وكان عمر بن الخطاب يجهر به يعلمه الناس(١).

ويستحب للمصلي أن ينوع في أدعية الصلاة وأذكارها القولية، ويأتي بما جاء عن النبي ﷺ، ولا يقتصر على دعاء واحد يردّده في جميع صلواته، لئلا يعتاد عليه، فيصبح قولا مجردا، ولفظا خاليا من التدبر والتأمل، مما يُضعف أثره في القلب، ويفقد خشوع الجوارح.

❀❀❀

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٩٤/٢٢).

﴿ فاستعذ بالله من الشيطان.. ﴾

مشـــهد وقوف المصلي بين يدي الله تعالـــى منّة من الله تعالى، حرمه كثيـرون، ووفقك الله للقيام بيـــن يديه، قال الله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١٧]، ومن أولئك المحرومين من القيام لله تعالى والسجود له إبليس الرجيم، أمره الله بالســجود والطاعة فأبى واستكبر وكان من الكافرين، ولذا أقسم وتوعد عبادَ الله بصرفهم عن طاعة ربهم، كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦ ـ ١٧]، فمهمة إبليس الإغواء والإضلال والإفساد وصرف العباد عن طاعة الله.

ومن مواضع حضور الشيطان وصرفه عن طاعة الله وقوف المصلي بيـــن يدي الله في الصلاة، فيكون الشـــيطان حاضرا، مجتهدا في صرفه قدر إمكانه، فإن استطاع صرفه عنها بالكلية فعل، أو كان بتأخيرها عن وقتها، أو بالزيادة فيها أو النقص، أو

بشغله بالوسوسة وسرحان فكره، فيشوش عليه، ويشككه، ويسرق منه لبّ صلاته وروحها، أخبر ﷺ أنه: «إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان، وله ضُرَاط، حتى لا يسمع التأذين، فإذا قَضَى النداء أقبل، حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر، حتى إذا قضى التثويب أقبل، حتى يَخْطِر بين المرء ونفسه، يقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر، حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى»[(١)]، فهذا عمل الشيطان وسعيه ليأخذ من الصلاة ما استطاع إلى ذلك طريقا.

واستحضار المصلي شدة عداوة الشيطان وقوة صرفه ووسوسته يجعله في مقاومة لعدوه، ومجاهدة مستمرة لشيطانه، لكن لا سبيل للخلاص من وسوسته وخواطره إلّا بما أمَر به الله تعالى، بالاستعاذة بالله منه، يقول ابن كثير: إن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله، ولهذا أمر الله تعالى بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه، ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى، وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن؛ لأنه لا يقبل رشوةً، ولا يؤثر فيه جميل؛ لأنه شرير بالطبع، ولا يكفه

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٦٠٨، واللفظ له، ومسلم، حديث رقم: ٣٩٨.

عنك إلا الذي خلقه[١]، قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، والنزغ من الشيطان الوسوسة. قال الزجاج: النَزْغ أدنى حركة تكون من الآدمي، ومن الشيطان أدنى وسوسة.[٢]

يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن لطائف الاستعاذة أنها طهارة للفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث، وتطييب له، وتهيؤ لتلاوة كلام الله، وهي استعانة بالله واعتراف له بالقدرة وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطني الذي لا يقدر على منعه ودفعه إلا الله الذي خلقه، ولا يقبل مصانعة، ولا يدارى بالإحسان، بخلاف العدو من نوع الإنسان، ولما كان الشيطان يرى الإنسان من حيث لا يراه، استعاذ منه بالذي يراه ولا يراه الشيطان.[٣]

ويستحب للمصلي أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم في أول صلاته بعد دعاء الاستفتاح، ووردت صيغ عديدة للاستعاذة من الشيطان والتخلص من شره، منها، «أعوذ بالله من الشيطان

(١) تفسير ابن كثير (١/١١٤).
(٢) تفسير البغوي (٢/٢٦٢).
(٣) تفسير ابن كثير (١/١١٤).

الرجيم»، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]. ومنها، «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم»[١]، ومنها: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه»[٢].

ولشدة حرص الشيطان على الوسوسة أمر الله تعالى في كتابه الكريم بالاستعاذة منه في عدد من المواضع في كتابه، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، ويقول تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧ ـ ٩٨]، ويقول تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، بل جاءت سورة كاملة ـ سورة الناس ـ في شأن الوقاية من شره والاستعاذة بالله من أذاه، بدأت السورة بثلاث صفات لله تعالى، بالربوبية والملك والألوهية لنستعيذ بها من عدو واحد؛ ألا وهو الشيطان الرجيم، فالسبيل الأوحد في دفع الشيطان وصرفه عن صلاتنا ومناجاتنا وخشوعنا، هو اللجوء إلى الله والاعتصام به.

---

(١) تفسير الشافعي (١٨٧/١).

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم: ٧٧٥، والترمذي، حديث رقم: ٢٤٢، وأحمد، حديث رقم: ١١٤٧٣، وصححه الألباني.

واستحب للمصلي الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم في أول الصلاة، ليقبل على الله بقلبه وقالبه، ويكون حاضرا مشتغلا بذكر الله ومناجاته.

ومن عداوة الشيطان كثرة وسوسته للمصلي وصرفه عن خشوعه ومناجاته، ولذلك جاءت السنة بالاستعاذة بالله منه في أثناء الصلاة حال وجود أثره، وعند الشعور بأذاه، فالشيطان عند الاستعاذة بالله منه يخنس ويختفي ويذهب، أتى عثمانُ بن أبي العاص رضي الله عنه النبيَ ﷺ، فقال: يا رسول الله: إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يَلْبِسها عليّ، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك شيطان يقال له خَنْزَبٌ، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل على يسارك ثلاثا» قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني[1]، فهذا دأب الشيطان مع المصلي، يحول بينه وبين صلاته، يخلطها ويشككه فيها، ويمنعه لذتها والخشوع فيها، ومن روحها وذوقها، ومن تدبر آيات الله، والتمعن في أذكارها وأدعيتها.

ومن رحمة الله أن الشيطان مع شدة عداوته وصرفه أن أرشدنا الله إلى طريق الخلاص من شره، ووصف الله كيده بأنه

---

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٢٢٠٣.

ضعيف أمام توكل المؤمنين واستعاذتهم بالله منه، قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

ووصف الله الشيطان بأنه خناس، قال تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤]، أي كثير الخنوس، فيختفي وتذهب وسوسته ويتأخر عن المصلي كلما ذكر الله تعالى واستعاذ بالله منه.

إن مهمة الشيطان إخراج المصلي وصرف قلبه، حتى يكون غافلا ساهيا، شارد الذهن، يجول فكره في كل واد، كما يحرص لصَرْف بدن المصلي ووجهه عن قبلته وعن محل نظره، حتى يلتفت ببدنه أو بنظره يمنة أو يسرة، لينقصه عن كمالها وخشوعها، سأَلت عائشة رضي الله عنها رسولَ الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة؟ فقال: «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد»[1].

وإن من المصلين من يوسوس له الشيطان ويشغله طيلة صلاته ولا يستعيذ بالله من شره، فلا يفيق إلا عند التسليم والانتهاء منها، يقول ﷺ: «إن العبد ليصلي الصلاة ما يكتب له منها إلا عشرها، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها نصفها»[2].

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٧٥١.

(٢) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٧٩٦، وأحمد، حديث رقم: ١٨٨٩٤، وصححه الألباني.

ومن أراد كمال الثواب في الصلاة وعدم انصراف القلب والبعد عن حضور الشيطان فليقبل على الله بكليته، وليأْت إليها مبكرا، وليتجرد قبل دخوله في الصلاة من الشواغل والصوارف التي تشتت قلبه وفكره، حتى يدخل فيها دون معوقات ومشتتات، مستعينا بالله تعالى على ذلك، وليتدبر في أقوال الصلاة وأذكارها، وفي كلام الله تعالى، ويتأمل في أفعالها، ويستشعر معنى تكبير الله وتعظيمه حال خفضه وسجوده وحركاته وسكناته، ليبقى في صلاته على حذر وترقب من أن يسرق الشيطان عليه شيئا من صلاته، أو يختلس منها ولو يسيرا، حريصا على إحضار قلبه وجمع فكره في جميع أحواله.

وإن عرض عليه فليدفعه بقدر استطاعته، وليتبع وصية رسول الله ﷺ، وليستعذ بالله من شره ووسوسته، وليتْفل عن يساره ثلاثا، فإنه لا غالب للشيطان أقوى من الالتجاء إلى الله والاعتصام به، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩].

❀❀❀

سورة الصلاة..

الفاتحة أعظم سور القرآن وأجلها، «ما أنزل الله في التوراة والإنجيل مثل أم القرآن»[(١)]، قال رسول الله ﷺ عنها: «أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم»[(٢)]، فهي سورة جليلة كريمة، كلها نور وبركات، وشفاء وهدايات، جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ، سمع نقيضا من فوقه، فرفع رأسه، فقال: «هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقال: «أبشر بنُورَين أُوتيتَهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته»[(٣)].

(١) أخرجه الترمذي، حديث رقم: ٣١٢٥، والنسائي، حديث رقم: ٩١٤، وأحمد، حديث رقم: ٢١٠٩٤، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٤٧٠٤.

(٣) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٨٠٦.

هذه السورة العظيمة جُعلت قراءتها ركنا من أركان الصلاة، تجب تلاوتها كل يوم سبع عشرة مرة، قال ﷺ «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[١]، بل جعل ﷺ صلاةَ من لم يقرأ بالفاتحة ناقصة غير تامة، كما قال ﷺ: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج».[٢]

كما افتتح الله بسورة الفاتحة أعظم كتبه، جعلها سبحانه ركنا لأعظم العبادات وفاتحة لركعاتها، ولم تفرض قراءتها وتكرارها إلا لما تحويه من معان عظيمة.

ينبغي للمصلي أن يستحضر معاني الفاتحة، وأن يُؤمّن على دعواتها بصدق، ولا يحمله كثرة تكرارها كل يوم بأن تصبح قراءة صماء، وتلاوة لا تدبر ولا تأمل في معانيها، ولا يحسن بالمصلي أن يقرأ أعظم سور القرآن بلسانه، ولا يواطئ قلبه وفكره معانيها وهداياتها.

علام يؤمّن المصلي بعد قراءة الفاتحة؟ ويطلب من الله الاستجابة والقبول؟ ما كان اختيار سورة الفاتحة من بين سائر سور القرآن وآياته، لتكون ركنا في الصلوات وتستفتح بها

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٧٥٦، مسلم، حديث رقم: ٣٩٤.

(٢) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٣٩٥.

الصلاة وركعاتها وتُثنّى وتكرر إلا لعظم معانيها، وجلالة قدرها، ومزيد حاجتنا إليها، ولذا سماها ﷺ بالمثاني، وقيل في معنى تسميتها بالمثاني: لأنها تثنى وتعاد في كل صلاة.

ولقوة علاقة سورة الفاتحة وارتباطها بالصلاة سميت بالصلاة، سماها الله تعالى بذلك كما في الحديث القدسي، قال الله تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي»[(١)]، قال العلماء: المراد بالصلاة هنا الفاتحة، سميت بذلك، لأنها لا تصح الصلاة إلا بها.

على المصلي أن يقف مع كل كلمة من كلمات سورة الفاتحة، مدركا لمعانيها، مستشعرا مناجاة الله تعالى له، مستحضرا تقسيم الله تعالى ﷺ لموضوعاتها، جاء في الحديث القدسي أن الله تعالى جعل السورة نصفين؛ بين الله سبحانه وبين عباده، فالثلاث الآيات الأول لله تعالى، تليها آية بين الله تعالى وبين عبده، والآيات الأخيرة للعبد.

ففي القسم الأول الخاص بالله تعالى، آياتها حمد لله تعالى وثناء وتمجيد، والقسم الآخر للعبد دعاء لله تعالى ومسألة وتضرع وافتقار، قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: قسمت

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٣٩٥.

الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، قال: مجدني عبدي ـ وقال مرة فوض إلي عبدي ـ فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»[1].

جاء في صفة قراءة النبي ﷺ أنه يقف عند رأس كل آية، فعلى المصلي أن يقف نهاية كل آية، يستشعر مناجاة الله تعالى له، وينتظر جواب الرب تعالى، فإذا قال المصلي ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، هذا الثناء الكامل بجميع أنواع المحامد لله وحده دون سواه، فهناك ردّ وجواب من الله تعالى يردّ به سبحانه على عبده، كما جاء في الحديث القدسي، يقول الله تعالى: «حمدني عبدني»، فهي مناجاة بين العبد وربه في كل آيات الفاتحة، وإن النفس المدركة والمستشعرة لمعاني الآيات

(١) المرجع السابق.

ودلالاتها لتطير فرحا بهذه المناجاة، يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن المناجاة بين العبد وربه في سورة الفاتحة: فهذا يقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لكل مُصلّ قرأ الفاتحة، فلو صلى الرجل ما صلى من الركعات قيل له ذلك. وفي تلك الساعة يصلي من يقرأ الفاتحة من لا يحصى عدده إلا الله، وكل واحد منهم يقول الله له، كما يقول لهذا[1]، وإذا قال المصلي ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فإنه يثني على الله بصفة الرحمة التي وسعت كل شيء، وبرحمته الخاصة بالمؤمنين، فيقول الله له عند ذلك أثنى عليّ عبدي، فما أعظم رد ربنا تعالى على قراءة عباده وما أوسعها، وإذا قال المصلي ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، يمجد العبد ربه بأنه المالك ليوم القيامة ويوم الجزاء والحساب؛ فلا مالك يومئذ إلا هو، فيقول الله: «مجدني عبدني».

في النصف الأول من السورة يستهل المصلي قراءته بحق الله تعالى؛ بحمده والثناء عليه وتمجيده قبل أن يسأل ربه ويدعوه، وهذا من كمال الأدب مع الله، وكما أن الأدب عند ملوك الدنيا وسادتها أن يقدم بين يدي سؤالهم ذكر شيء من محاسنهم ومدحهم، فالله سبحانه أحق وأجل وأعلى وله المثل الأعلى.

---

(١) شرح حديث النزول (ص: ١١٥).

في وسط السورة وبين القسمين يقرأ العبد قول الله ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، وهذه الآية تخصيص لله وحده بسائر أنواع العبادة والطاعة، فلا شريك له في العبادة، وفيها طلب العون من الله واستمداده منه في كل أحوالنا. فهي توحيد لله وإخلاص في النية والقصد له، وحصر العبادة والتوجه مع الاستعانة لله وحده دون سواه، فعندئذ يقول الله تبارك وتعالى: «هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل».

في النصف الثاني من السورة يأتي حظ العبد وقسمه، فيطلب من الله تعالى ويسأله، ومسائل العباد وطلباتهم لا حصر لها؛ إلا أن أعظمها وأجلها هي هداية الله عبده للطريق الموصل لأعلى الجنان، وتوفيقه لسلوك الصراط المستقيم أخصر الطرق وأقومها، الذي وصفه ربنا بأعظم وأبين الصفات؛ الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف، الصراط الذي سلكه أنبياء الله وأولياؤه من الصديقين والشهداء والصالحين، فاستشعار العبد عند هذا الدعاء أنه يطلب من الله سلوك طريق خير خلق الله من أنبيائه وأوليائه وأصفيائه، ليملأ القلب فرحا وأنسا بهذا الطريق، ويفيض انشراحا لسؤاله أن يكون واحدا مع أولئك المنعم عليهم، الذي ذكرهم الله وأثنى على رفقتهم

في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، ويقول ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: فيه تعريض بطلب أن يكونوا لاحقين في مرتبة الهدى أن يكونوا لا حقين في مرتبة الهدى بأولئك المُنعَم عليهم، وتهمما بالاقتداء بهم في الأخذ بالأسباب التي ارتقوا بها إلى تلك الدرجات[(١)]، ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فأضاف الصراط إلى الرفيق السالكين له، وهم الذين أنعم الله عليهم، ليزول عن الطالب للهداية وسلوك الصراط وحشة تفرده عن أهل زمانه وبني جنسه، وليعلم أن رفيقه في هذا الصراط هم الذين أنعم الله عليهم، فلا يكترث بمخالفة الناكبين عنه له، فإنهم هم الأقلون قدرا، وإن كانوا الأكثرين عددا[(٢)].

ثم يؤكد العبد دعاءه لله في سلوك الصراط المستقيم بطلب صرفه عن طرق أهل الضلال والغواية والانحراف، وأصول طرق الانحراف عن دين الله تتمثل في قسمين:

---

(١) التحرير والتنوير (١٩٣/١).

(٢) مدارج السالكين (٤٦/١).

من عرفوا الحق وحادوا عنه ولم يتبعوه أو حرفوه وبدلوه، وهنا وصفهم الله بالمغضوب عليهم، كاليهود وأشباههم.

وقسم آخر لم يهتدوا للحق ولم يبحثوا عنه وضلوا عنه وسلكوا طريقا منحرفا بلا علم ولا دليل، ووصفهم الله بالضالين كالنصارى ومن شابههم.

فالمصلي في دعائه في سورة الفاتحة يسأل التوفيق والهداية لسلوك الصراط المستقيم والثبات عليه، ويستعيذ بالله من الانحراف والميل عنه، فما أحسنه من طريق، وما أعظمه من دعاء، وما أحوجنا وما أشد فقرنا إليه في سائر أوقاتنا وشؤوننا، لذا شرع الله لنا تكراره آناء الليل وأطراف النهار، من أول استيقاظ العبد في صلاة الفجر إلى صلاة العشاء الآخرة.

وإذا وصل المصلي لختام السورة يؤمن تأمينا قد استشعر عظمة الدعاء الذي دعا به، وقَدْر طلبه وسؤله من ربه تعالى، فيقول عندها «آمين»، أي: اللهم استجب دعائي، فلا تسأل عن الثبات الذي سيكتبه الله لمن صدق في قراءته ودعائه ومناجاته، وعن التوفيق والهداية والرشاد، يقول عطاء بن أبي رباح: «لقد كان لنا دوي في مسجدنا هذا بآمين»[١].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة، حديث رقم: ٧٩٧٥.

نقرأ كل يوم سورة الفاتحة مالا يقل عن سبع عشرة مرة، وهذا يساوي أكثر من خمس مئة قراءة في كل شهر، وأكثر من ستة آلاف قراءة في العام الواحد، وهذا التقدير فيما لو اقتصر المصلي على الصلوات الخمس المفروضة، وكم مرة قرأنا هذه السورة في سالف أيامنا، وكم مرة استشعرنا معانيها ومدلولاتها ودعائها وتأمينها، وكم سيكتب الله لنا قراءتها في باقي أعمارنا، فلا يحسن بالمصلي أن يكلفه ربه بكثرة تردادها وقراءتها وهو غير متدبر لها، ونؤمّن في ختامها وقلوبنا ساهية عن معانيها.

❀❀❀

اقرؤوا ما تيسر من القرآن..

تعدّ قراءة القرآن الكريم في الصلاة ركنا أساسا من أركان الصلاة، وجـزءًا لا يتجزأ منهـا، فبيْن تـلاوة كلام الله تعالى والصلاة ارتباط وثيق، فلا تتم الركعة إلا بقراءة سورة الفاتحة، ومن السنة بعد قراءة الفاتحة قراءة شيء مما تيسر من القرآن.

تأمل تعبير القرآن الكريم عن الصلاة بقراءة القرآن، كما في قول الله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ [المزمل: ٢٠][(١)]، أي فصلوا ما تيسر عليكم، والصلاة تسمى قرآنا[(٢)].

ولكثرة تكرار القرآن في الصلـوات خاصة الجهرية منها سمى الله تعالى صلاة الفجر بقرآن الفجر، لطول القراءة فيها، قال تعالـى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسـراء: ٧٨]، أي ما تقرأ به في صلاة الفجـر من القرآن كان مشهودا، يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار.[(٣)]

---

(١) نظم الدر للبقاعي، (٣٢/٢١).

(٢) تفسير القرطبي، (٥٤/١٩).

(٣) تفسير الطبري (٥٢٠/١٧).

والنبي ﷺ جعـــل أول معايير أحقية الإمامـــة بالناس في الصلوات قراءة القرآن، قال عليه الصلاة والسلام: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة ســـواء، فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء، فأقدمهم سلما..»[(١)].

ولِقراءة القرآن وسماعه في الصلوات مقصد عظيم، وغاية حســـنة، تفضي إلى تحقيق كمال الأثر على المصلي، وزيادة إيمانه، وكسب أجور، وحلول للسكينة والطمأنينة، وأثر على القلوب والأبدان.

في الصلوات الجهرية تحل الطمأنينة على قلوب المصلين وتلين حين يزيّن الإمام صوته بآيات القرآن ويتغنى بها، ويعطر بيوت الله ويشنف أسماعهم ويريح أبدانهم بتلاوته.

كم من الأثر تحدثه التلاوات العذبة من الأئمة القراء على قلوب المصلين وعلى أبدانهم، كما قال الله تعالى عن كلامه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، يقول ابن كثير رحمه الله: هذه صفة الأبرار، عند سماع

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٦٧٣.

كلام الجبار المهيمن العزيز الغفار، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد، والتخويف والتهديد، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخــوف، ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾، لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه[١].

ومن كان إماما للمصلين وهو مستشــعر أثر كلام الله على القلوب والأبدان فلن يجعل قراءته قراءة لا تدبر فيها ولا تغن ولا اهتمام، بل ســيبذل لها من الاستعداد والاهتمام، وحسن الأداء والترتيل، ويستفرغ لهذه المهمة جهده حتى يوفيها حقها، وإن من توفيق الله للإمام أن يولي تلاواته عناية خاصة، ويكون له اهتمام بالغ؛ بحسن أدائه، وتجميل صوته، واختياره وانتقائه لما يقرأه من الآيات والسور.

كم أيقظت آيات الله التي تتلى في المساجد من غافل، وكم أرشــدت من تائه، وكــم أثرت فــي قلوب الطغــاة والعصاة والمسرفين على أنفسهم، ثلاث صلوات جهرية هي منبر دعوة، ومحراب للرجوع إلى الله والإقبال عليه، وتصحيح للتصورات والمفاهيم، ومعالجة للقضايا والمشكلات، ومواكبة الأحداث، وتوجيه للمؤمنين وإرشاد لهم بآيات القرآن.

(١) تفسير ابن كثير (٧/٩٤).

يتقلب الناس في ملذات الحياة الدنيا وشـــهواتها، فتأتي الصلوات المكتوبة فرضا على المســـلم لتنهاه وتأمره وتضبط شؤونه وتقيم حياته وتقربه من الله، ويأتي دوي آيات الكتاب فتهذب النفوس وتهدي القلوب وتردها إلى الله تعالى.

وصلاة الفجر لها مزية خاصة ومزيد اهتمام مع كلام الله، سماها الله قرآن الفجر، فهي محلٌ لطول القراءة أكثر من غيرها، تأتي مع سكون الليل وهدأة الفجر، فأول ما يطرق أذن المصلي ويصل إلى قلبه قرآن الفجر وآيات الرحمن، فتكون له نبراسا وهداية له سائر يومه وليلته، وسببا في سعادة وتوفيقه.

وصلاة القيام في ليالي رمضان لها ذوق خاص، وروحانية لا تتكرر سائر العام، فطول القراءة وكثرة الختمات وسماع آيات الله في المساجد تصنع الروحانية في القلوب، فيشعر المصلون بتألق وانشراح عظيم طيلة شهرهم، لا يقدِرون وصْفه وروحانيته إلا حين يخرج شهر القرآن والبركات.

وحسن أداء الأئمة للقرآن وجمال ترتيلهم للآيات وتزيين أصواتهم لها بالغ الأثر في خشوع المصلين وتدبرهم وانتفاعهم بالقرآن، فكم جذبت تلك التلاوات العذبة الندية من مصلين، وأدمعت من عيون، وأخشــعت مــن قلوب، ولهــذا أمر الله

المأمومين بالاستماع والانصات لكلام الله حتى يتحقق الأثر ويحصل المقصود، وقد قال الله في شأن قراءة الإمام في الصلاة: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أجمع الناس على أنها نزلت في الصلاة، وأن القراءة في الصلاة مرادة من هذا النص، ولهذا كان أعدل الأقوال في القراءة خلف الإمام أن المأموم إذا سمع قراءة الإمام يستمع لها وينصت لا يقرأ بالفاتحة ولا غيرها، وإذا لم يسمع قراءته بها يقرأ الفاتحة وما زاد، وهذا قول جمهور السلف والخلف وهو مذهب مالك وأصحابه وأحمد بن حنبل وجمهور أصحابه وهو أحد قولي الشافعي واختاره طائفة من محققي أصحابه وهو قول محمد بن الحسن وغيره من أصحاب أبي حنيفة[1].

وسور القرآن وآياته كلها مقروءة، لا يهجر من كلام الله شيء، وإنك لتعجب من بعض الأئمة يقتصر على سور وآيات يكررها في أغلب صلواته، ولا يقيم لما سيقرأه اهتماما، ولا تحضيرا ولا استعدادا، فكيف يريد الأثر والتأثير، وكيف تحصل الرحمة، ويكون الخشوع والبُكي.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/١٨).

من وسائل التأثير على القلوب والتغيير في النفوس التنوع في اختيار السور والآيات، وحسن الاختيار للمقاطع القرآنية، فكم تمر على المسلمين من مناسبات قد تحدّث عنها القرآن، وبيّن الهدى والرشاد فيها، وكلام الله تعالى وآياته أعظم من يبيّن تلك المناسبات وأحداثها وأحكامها ومعالجتها، كآيات الصوم والحج وعاشورا وغيرها.

كم من الأحداث والمواقف التي تحدُث للمسلمين وتقع حولهم قد أجاب القرآن عنها وأبانها غاية الإبانة، فلو أعطى الإمام مزيد اهتمام في اختيار السور والآيات التي توافق تلك الأحداث وتعالج المواقف لوجد بغْيته، واغتنى بكلام الله تعالى عن كلام الناس وآرائهم وتنبؤاتهم، فيتلو تلك الآيات على قلوب المصلين، فتدلهم وتهديهم وترشدهم.

إن من المسلمين من لا يسمع كلام الله تعالى إلا من أفواه الأئمة، فلو أدرك الأئمة والقراء أثر آيات الله وكلامه وقوة تأثيره في النفوس لبَذَلوا جهدهم ووسعهم في إسماع الناس آيات القرآن، واعتنوا باختيار ما يقرؤونه وما يتلونه في الصلوات، ست ركعات جهرية كل يوم يحضر إليها المسلم ويستمع فيها لآيات الله وكلامه ينبغي أن تحدث أثرا، وأن تكون شفاء للصدور، وهداية للقلوب، وطمأنينة وسكينة، وقد

قال الله تعالى عن كلامه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، وقال الله عن مواعظ القرآن: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ [النساء: ٦٦ ـ ٦٨]

وعن قراءة النبي ﷺ في الصلوات، جاء أنه قرأ عددا من السور في الصلوات المكتوبة، وأكْثر من قراءة المفصل، فقرأ بطوال المفصل وأوساطه وقصاره، وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال «ما من المفصل سورة صغيرة ولا كبيرة، إلا وقد سمعت رسول الله ﷺ يؤم الناس بها في الصلاة المكتوبة»[(١)]. يقول ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فهذا يدل على إكثار النبي ﷺ من قراءة سور المفصل في الصلوات الجهريات الثلاث، قصارها وطوالها ومتوسطها[(٢)]. وسور المفصل مما اختص به النبي ﷺ، قال ﷺ: «أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني،

(١) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٨١٤، والبيهقي في السنن الكبرى، حديث رقم: ٤٠٠٨، وضعفه الألباني.
(٢) فتح الباري، لابن رجب، (٢٩/٧).

وفُضّلت بالمُفَصّل»(١)، وسور المفصل أكثرها مكي، وموضوعات السور المكية كثيرا ما تتحدث عن الوعد والوعيد، وعما يرقق القلب ويزيد الإيمان؛ من وصف الجنة والنار، والحديث عن اليوم الآخر وما فيه من بعث وجزاء وحساب؛ فتبعث تلك السور الخشية والخوف والبكاء والخضوع لله.

وكان من عنايته ﷺ لما يقرأه في الصلاة اختياره لسورتين متماثلتين في المعنى، فيجمع بينهما أحيانا في الركعة الواحدة، يقول ابن مسعود رضي الله عنه، لقد عرفت النظائر التي كان النبي ﷺ يقْرِن بينهن، فذكر عشرين سورة من المفصل، سورتين في كل ركعة(٢)، والنظائر من السور المتماثلة في المعاني؛ كالموعظة أو الحكم أو القصص(٣).

قال ﷺ عن طول القيام وقراءة القراءة: «أفضل الصلاة طول القنوت»(٤)، لذا كان النبي ﷺ أحيانا يطيل القراءة، ويجمع بين السورتين في الركعة الواحدة، فالسنة أن تُقرأ في

(١) أخرجه أحمد، حديث رقم: ١٦٩٨١، والطبراني، حديث رقم: ١٨٦، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٧٧٥، ومسلم، حديث رقم: ٨٢٢.

(٣) فتح الباري، لابن حجر، (٢/٢٥٩).

(٤) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٧٥٦.

كل ركعة سورة فما زاد، وهي من عمل النبي ﷺ، وحرص السلف عليها، والحكمة في ذلك أن السورة مرتبط بعضها بالبعض الآخر[١].

وجاء في قراءته ﷺ أنه قرأ بسور مخصوصة في بعض الصلوات، لما تحمله السورة من معان عظيمة تناسب المقام، فقد كان ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر الم تنزيل السجدة، وهل أتى على الإنسان حين من الدهر[٢]، وكان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين، وفي الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى، وهل أتاك حديث الغاشية[٣].

وقرأ ﷺ في المغرب بالأعراف[٤]، وقرأ المؤمنون في الصبح[٥]، وقرأ مرة في الصبح بالصافات[٦]، وقرأ بسورة التكوير[٧]، وصلى أبو بكر رضي الله عنه بالناس صلاة الصبح فقرأ

(١) صفة صلاة النبي ﷺ، (ص: ١٢٢).
(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٨٩١، ومسلم، حديث رقم: ٨٨٠.
(٣) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٨٧٨.
(٤) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٧٦٤، ومسلم حديث رقم: ٨١٢.
(٥) أورده البخاري، (١٥٤/١)، ومسلم، حديث رقم: ٤٥٥.
(٦) أخرجه النسائي، حديث رقم: ٨٢٦، وأحمد، حديث رقم: ٤٧٩٦، وصححه الألباني.
(٧) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٤٥٦.

آل عمران، فقالوا: كادت الشمس أن تطلُع، وقرأ عثمان بن عفان رضي الله عنه سورة يوسف في الصبح[١].

ومن السنة قراءة السورة كاملة في الصلاة، يقول ابن القيم رحمه الله: ولا يستحب أن يقرأ من كل سورة بعضها، أو يقرأ إحداهما في الركعتين، فإنه خلاف السنة، وجهال الأئمة يداومون على ذلك[٢].

فمن يريد أن يوفي حق اختياره لإمامة المصلين فليتحرّ السنة في القراءة، وليَدْخل في الصلاة الجهرية وهو يعلم ما سيقرأه، وإن أردف ذلك بقراءة لتفسير الآيات وتأمل في معانيها فهو أخشع لقلب الإمام، وخشوع الإمام وتأثره بالقرآن ينعكس أثره على المصلين كما هو مشاهد ومعلوم.

يقول الله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما عند قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ قال: القرآن الذي يقرأ في المساجد[٣]، فهكذا ينبغي

(١) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الاثار، حديث رقم: ١٠٨٨، ١٠٩٠.
(٢) زاد المعاد، (١/٣٦٩).
(٣) تفسير الطبري (٢٠/٤١).

أن يكون حال المؤمن مع كلام الله؛ يأتمر بأمره، وينتهي عن نهيه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

عندما يجتمع للمسلم إقامة الصلاة مع تلاوة للآيات بصوت شجي وأداء مميز وتدبر للمعاني ومراعاة للوقف والابتداء وبكاء وسجود فأي أثر ستحدثه تلك الصلوات والآيات على القلوب، وأي تغير سيعقب تلك الفريضة، يقول أحد الصحابة رضي الله عنهم «أتيتُ النبي ﷺ، وهو يصلي ولجِوفه أَزِيز كأَزِيز المِرْجَلِ[1]»[2] يعني: يبكي عليه الصلاة والسلام. ويقول الله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٦ ـ ١٠٩]، وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قول الله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]، قال: هذا السجود، فأين البكي؟ يريد: فأين البكاء[3].

---

(١) أزيز المرجل، صوت القدر عند غليانه.

(٢) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٩٠٤، والنسائي، حديث رقم: ١٢١٤، واللفظ له، وأحمد، حديث رقم: ١٦٣١٧، وصححه الألباني.

(٣) تفسير الطبري (٢١٥/١٨).

فقراءة القرآن في الصلاة وسماعه سر من أسرارها، وسبب لتذوق حلاوتهـا والراحة فيها، ومنبر للتأثـر والتأثير، ينبغي إدراك ذلك والعناية والاهتمام بها، سواء صلى أحدنا منفردا في جـوف الليل أو فـي النوافـل، أو كان إماما يأْتـم به جموع المصلين.

ومن أشرف أركان الصلاة السجود، وفي بعض آيات القرآن سجدات، شُـرع لنا حين بلوغ موضع السجود فيها أن نسجد اقتداء بنبينا ﷺ، ومن العجب تثاقل الأئمة عن قراءة آيات فيها سجود، فيعزف عن قراءة سـورة العلق لأن في آخرها سجدة، مع أن مطلعها أول ما نزل من القرآن الكريم، وفيها من المعاني العظام التي يجدر إسماعها المصلين في المساجد، وكل سور القرآن كذلك، ومن السور التي تقِلّ قراءتها في الصلاة سورة الانشقاق كاملة، حتى لا يصل لموضع السجود فيسجد، وقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سجدنا مع النبي ﷺ في «إذا السماء انشقت»، و«اقرأ باسم ربك»[١].

من أسباب العزوف عن قراءة آيات السجود لله أنه من عمل الشـيطان وتزيينه، فيصرفه عن السجود ويزين له عدم قراءتها

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٧٦٦، ومسلم، حديث رقم: ٥٧٨، واللفظ له.

بحجج وخطرات واهية؛ منها أن السـجود يثقل ويشـق على المصليـن وراءه، أليس في كل ركعة من الصلاة سـجدتان؟ والسجود أكثر الأركان تكرارا في الركعة الواحدة، ولكن صرف الشيطان ابن آدم عن السجود من أعظم غاياته، فكيف لابن آدم أن يسجد حين يُؤمر، وإبليس لم يسـجد حين أُمر، فهذا من إغوائه وصرفه، قال ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويلي، أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار»(١).

ورسول الهدى صلوات ربي وسلامه عليه كان يمر بآيات السجود ويخر سـاجدا لله تبارك وتعالى، بل أعجب من ذلك سـجوده حين قرأ ﷺ آيـة وهو علـى المنبر فنزل وسـجد، وما أعظم عمل الصحابة واقتداؤهـم بنبينا ﷺ، قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم الجمعة على المنبر بسورة النحل، حتى إذا جاء السجدة نزل، فسجد وسجد الناس(٢).

❀❀❀

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٨١.

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم: ١٠٧٧.

تعظيم الرب..

بعد أن ينهي المصلي قراءة ما تيسـر من كلام الله تعالى يسكت قليلا، ثم يرفع يديه مكبرا الله تعالى راكعا، قائلا: «الله أكبر»، والتكبير تعظيم لله تعالى باللسـان، والقلب يوافقه في التعظيم والإجلال، ومشـهد رفع اليدين دلالة تعظيم وإجلال لمن نقف بين يديه، فينبغي أن يحدِث التكبير في قلب المصلي معاني الإجلال على الحقيقة، فيقطع وساوس الشيطان ونزغاته وخطراتـه، ويعلم أن ما هـو فيه أكبـر من كل أمـور الدنيا وحوائجها وهمومها.

الركوع عبادة جليلة، وهيئته هيئة تعظيم وإجلال وتبجيل، وحالة إكبار لمن يُوقف له، وهو الله سـبحانه وحده المستحق لذلك، جاء في صفة ركوع النبي ﷺ أنـه ركع ﷺ، ثم هَصَر ظهره[1]، أي: ثنى ظهره ومده دون تقوس، فالمصلي يثني ظهره وينحني حتى يستوي ويمتد، قد نكّس أشرف ما فيه وخفضه؛

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ١٥٨.

رأسَه ووجَه، وثنى صلبَه وقامتَه للمولى جل في علاه، ووضع كفيه على ركبتيه مفرجتي الأصابع، بكيفية تشعر الرائي لهذه الحالة خضوعُ الراكع بين يدي سيده، وعبوديته لمولاه، وذله وضعفه، ويزداد الخضوع لله تعالى بتعظيم الله تعالى باللسان، عندما يقول: «سبحان ربي العظيم».

وما ثبت في صفة ركوع النبي ﷺ وكمال نزوله في الصلاة لهو أتم الركوع وأكمل التذلل لله تعالى، فهذا الركن مقصود منه تعظيم الله تعالى والخضوع له، قال عليه الصلاة والسلام: «فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل»[1]، فعُلم بذلك ألاّ ركوع ولا خضوع إلا لله وحده، لا كما يفعله غير المسلمين من الانحاء والركوع لكبرائهم احتراما لهم، وتقديرا وتعظيما.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨]، إن ذكر الركوع في الآية وتخصيصه من بين سائر أحوال العبادة إنما كان لأن كثيرا من العرب كان يأنف من الركوع والسجود؛ ويراها هيئة منكرة لما كان في أخلاقهم من العجرفة[2]، فالمصلي حينما يستشعر هيئة ركوعه وذلّه لله

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم، ٤٧٩.
(٢) تفسير ابن عطية (٥/٤٢١).

وخضـوع جوارحه بيـن يدي ربه يـزداد خضوعـا لله بقلبه، وانكسارا لخالقه.

ومن تمام العبودية أن يتصاغر المصلي لله تعالى، وتذل نفسه حين ينحني بين يديه، ويُعظِّم الله تعالـى بهيئته وقلبه وجميع جوارحـه، ويعظمه بلسـانه ودعائه حين يكرر «سـبحان ربي العظيم»، ومع كل تعظيم لله يستشـعر العبـد ضعفه وخضوعه وعظمة خالقه، حتـى يكون قلبه معظمـا لله تعالى، ممتلئا ذلا واستكانة، فيجتمع للمصلي تعظيم ربه من كل الوجوه؛ بالقلب واللسان والجوارح، يقول ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتمام الخضوع في الركوع: أن يخضع القلب لله ويذل له فيتم بذلك خضوع العبد بباطنه وظاهره لله عَزَّوَجَلَّ، ولهـذا كان النبي ﷺ يقول في ركوعه: «خشـع لك سـمعي وبصري ومخي وعظامي وما اسـتَقلَّ به قدمي»، إشـارة إِلى أن خشـوعه في ركوعه قد حصل بجميع جوارحه، ومن أعظمها القلب الذي هو ملك الأعضاء والجوارح، فإذا خشع خشعت الجوارح، والأعضاء كلها تبعًا لخشوعه[1].

وقد كان ﷺ يطيل الركوع والتسـبيح وتعظيم ربه تعالى، كمـا أخبر أنس بـن مالـك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ما صليـت وراء أحد بعد

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٣٠٤/١).

رسول الله ﷺ أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الفتى ـ يعني عمر بن عبد العزيز ـ قال: «فحزرنا في ركوعه عشر تسبيحات، وفي سجوده عشر تسبيحات».[(١)]

ويتساءل أحدنا. لماذا نهى النبي ﷺ عن قراءة القرآن في الركوع كما جاء في الحديث، قال ﷺ: «ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا»[(٢)]، مع أن القرآن أشرف وأعظم من الذكر؟

يجيب ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وذلك تشريفا للقرآن، وتعظيما له ألا يقرأ في حال الخضوع والذل، كما كره أن يقرأ مع الجنازة، وكما كره أكثر العلماء قراءته في الحمام[(٣)][(٤)].

وهنا معنى لتخصيص تسبيح الله حال الركوع والسجود أشار إليه ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: التكبير مختص بالذكر في حال الارتفاع، كما أن التسبيح مختص بحال الانخفاض، كما في السنن عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذا

---

(١) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٨٨٨، والنسائي، حديث رقم: ١١٣٥، وأحمد، حديث رقم: ١٢٦٦١، وقال الألباني حسن الإسناد إن شاء الله.

(٢) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٤٧٩.

(٣) الحمّام: مكان الاغتسال والاستحمام، وليس مكان قضاء الحاجة.

(٤) مجموع الفتاوى (٥٨/٢٣).

علونا كبرنا، وإذا هبطنا سبحنا، فوضعت الصلاة على ذلك، ولما نزل قول الله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]، قال: «اجعلوها في ركوعكم».(١)

ويسن للمصلي في الركوع تعظيم الرب تعالى بصيغ التعظيم، ومن ذلك قول سبحان ربي العظيم، وفي هذا الذكر إثبات عظمة الله، وتقديسه وتنزيهه عن النقائص، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فشرع للراكع أن يذْكر عظمة ربه في حال انخفاضه هو وتطامنه(٢) وخضوعه، وأنه سبحانه يوصف بوصف عظمته عما يضاد كبرياءه وجلاله وعظمته، فأفضل ما يقول الراكع على الاطلاق: سبحان ربي العظيم. فإن الله سبحانه أمر العباد بذلك، وعين المبلغ عنه السفير بينه وبين عباده هذا المحل لهذا الذكر(٣).

وردت أذكار عديدة في الركوع، منها ما يجمع تسبيح الله مع تعظيمه، ومنها تسبيح مجرد، ومنها تسبيح مقرون بصفات العظمة والكبرياء، فمن صيغ التسبيح «سبوح قدوس، رب

(١) مجموع الفتاوى (١١٣/١٦).
(٢) تطامنه، أي: انخفاضه.
(٣) الصلاة وأحكام تاركها (ص: ١٤٦).

الملائكة والروح»[١]، تسبيح وتنزيه وتقديس مقرون بتعظيم الله تعالى وإجلاله.

ومن صيغ التسبيح ما روته عائشة ﵂، أنها قالت: «كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي» يتأول القرآن[٢][٣]، فهذا الذكر يشمل التسبيح مع التحميد، فهو يجمع بين النفي والإثبات؛ نفي المعايب وإثبات المحامد، وذلك يتضمن التعظيم[٤].

وكان ﷺ يقول في ركوعه: «اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي، وبصري، ومخي، وعظمي، وعصبي»[٥]، والمتأمل في هذ الذكر يجد ألفاظا من الخضوع والذل لله تعالـى، تتضمن خضوع القلب واللسـان، وخضوع الجوارح وتواضعها، فخشـع السـمع والبصر والمخ والعظم والعصب.

---

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٤٨٧.

(٢) (يتأوّل القرآن) يفعل ما أمـر به بمثل قوله تعالى {فسـبح بحمد ربك واستغفره} النصر (٣).

(٣) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٨١٧، ومسلم، حديث رقم: ٤٨٤.

(٤) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات (ص: ٢٢).

(٥) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٧٧١.

جاء عنه ﷺ أنه قال في ركوعه: «سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة»[1]، وفيه تنزيه الله وتعظيمه بصفات العظمة والجبروت والقهر والغلبة والملك العظيم والكبرياء، وهذه الصفات لله تعالى تجعل العبد يخضع ويذل لربه تعالى وينحني له.

فمضمون هذه الأذكار يشعر المصلي بخضوع كل شيء فيه لله تعالى وتذلله وخشوعه، مع كمال الانقياد والتسليم، وبه يتحقق معنى التعظيم الشامل لله تعالى بالقلب واللسان والجوارح الذي ذكره ﷺ بقوله، فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل.

❀❀❀

(١) أخرجه أبي داود، حديث رقم: ٨٧٣، والنسائي، حديث رقم: ١٠٤٩، وأحمد، حديث رقم: ٢٣٩٨٠، وصححه الألباني.

الاعتدال من الركوع..

بعد أن خضـــع المصلي لله تعالى وركـــع، وحنى ظهره وقامته وخفض رأسه لربه، يرفع من الركوع معتدلا قائما كما كان، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ثم نَقَلَــه منه إلى مقام الاعتدال والاستواء بين يديه، واقفاً في خدمته كما كان في حال القراءة، ولذلك الاعتدال ذوق خاص وحال يحصل للقلب سوى ذوق الركـــوع وحاله، وهـــو ركن مقصـــود لذاته، كركـــن الركوع والسجود سواء.(١)

والنبي ﷺ أطال في الاعتدال بعد الركوع، وإطالته لمعنى يحصل للمصلي، ومقصد أراده الله تعالى، ولذا لم يسجد بعد ركوعه مباشرة، بل وقف واعتدل قائما، كما هو حال من يقف بين يدي سيده في خدمته، والقيام بين يدي الله أشرف وأعلى وأجل، وشرع حمد الله تعالى والثناء عليه كثيرا؛ لأجل أن الله تعالى وفقه للركوع له وتعظيمه.

---

(١) الكلام على مسألة السماع، (ص: ١٠٤).

يقول أنس رضي الله عنه، كان رسول الله ﷺ، إذا قال: «سمع الله لمن حمده» قام، حتى نقول قد أوهم[١]، ومعنى ذلك أنه كان يلْبث في حال الاستواء من الركوع زمانا يُظنّ أنه أسقط الركعة التي ركعها، وعاد إلى ما كان عليه من القيام.

فكان ﷺ يطيل اعتداله، ويكثر من حمد الله وتمجيده والثناء عليه، فهذه سنته، وحال من عرف معنى الصلاة وسرها وذوقها، وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله عمن يقصّر ركن الاعتدال بعد الركوع ويخفّفه أنه من فعل أمراء العراق زمن بني أمية، وأن ذلك ليس من السنة[٢].

وأول ما يقوله المصلي حين يرفع: «سمع الله لمن حمده»، ومعناه أجاب الله دعاء من حمِده[٣]، فالله سمع المصلي وهو يدعوه ويعظمه ويسبحه ويحمده، فاستجاب له جلّ في علاه.

ثم يحمد ربه ويثني عليه قائلا: «ربنا ولك الحمد»[٤]، وكان ﷺ يحمد الله بقول: «ربنا لك الحمد ملء السماوات

---

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٤٧٣.

(٢) مجموع الفتاوى (٥٩٣/٢٢).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٢١/٤).

(٤) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٦٨٩، ومسلم، حديث رقم: ٣٩٢.

والأرض، وملء ما شئت من شـــيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد: اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[١].

والمتأمل في الأذكار الواردة في هذا الركن يجدها أذكار حمد وثناء وتمجيد لله تعالى، وبصيغ تفيد عظمةَ الحمد وسعته وكثرته، حمدا لله عظيما ملأ السماوات السبع والأرضين السبع وما بينهما، وما شـــاء الله من شـــيء بعد، من كل شيء أحاط به ﷻ غير الســـماوات والأرضين، وليـــس وراء ذلك الحمد والتمجيد لله حدّ ولا منتهى، ولا يحصيه عادّ.

«أهل الثناء والمجد»، فالله ســـبحانه هو المستحق للحمد كله، والمستحق لجميع صفات الكمال، صاحب الثناء الواسع والوصف الجميل، وهو المجيد صاحب العظمة والرفعة والعلو سبحانه.

«أحق ما قال العبـــد» يذكر ابن تيميـــة أن الحمد لله أحق ما قاله العباد؛ ولهذا أوجب قولَه في كل صلاة، وأن تفتتح به الفاتحة، وأوجب قوله في كل خطبة، وفى كل أمر ذي بال.[٢]

---

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٤٧٧.
(٢) مجموع الفتاوى (٣١٢/١٤).

ومن صيغ حمد الله في هذا الموضـع من الصلاة ما قاله أحد أصحاب النبي ﷺ: «ربنا ولك الحمـد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه»، فقال ﷺ حين سمعه: «رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها، أيهم يكتبهـا أول»(١)، فتأمل كيف حمِد الله تعالى، ليس حمدا واحدا؛ بل حمده وأثنى عليه حمدا كثيرا واسـعا، ووصفه بأنه مباركا فيه، أي: كثير الخير.

والله تعالى أحق من يحمد سبحانه، ومن عظمة ما حَمِد هذا الصحابي ربه قال ﷺ «رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أول»، يقول العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن حروف هذه الكلمات أربعة وثلاثون حرفا، فأنزل الله تعالى بعدد حروفها ملائكة، فتكون أربعة وثلاثين ملكا في مقابلة كل حرف ملك، تعظيما لهذه الكلمات(٢).

ففي هذا الموضع من الصلاة يحمـد المصلي ربه تعالى ويثني عليه ويمجده، وحمد الله مقصـود في هذا الركن، وإذا عرف المصلي سر ذلك فسـيتأنّى في اعتداله ويطيله، ويتأمل معاني ما يردده من حمد وثناء، ويستشعر كرامة الله له وتوفيقه أن وفقه للقيام له بعد ركوعه وخضوعه.

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٧٩٩.

(٢) عمدة القاري (٦/٧٥).

وقد جاء عن النبي ﷺ أنه دعا بعــد حمد الله والثناء عليه فقال: «اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد، اللهم طهرني من الذنوب والخطايا، كما ينقى الثوب الأبيض من الوسخ»[1]، والدعاء في هذا الركن من مواضـع الدعاء في الصلاة، فعلى المصلي حين يعتدل من الركوع أن يستشعر موقفه بين يدي الله معتدل القامة، واضعا يده اليمنى على اليسرى، حامدا لله مثنيا ممجدا، داعيا ربه.

❀❀❀

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٤٧٦.

الركن الأعظم..

يصل المصلي في هذا الموضع إلى سر الصلاة وروحها وركنها الأعظم، وينتقل لأشرف حالات الصلاة، وأقرب ما يكون العبد من ربه، إلى السجود بين يدي الملك علام الغيوب، ففي السجود الخضوع لله، والذل بين يديه، والاستكانة والانطراح للكبير المتعال، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «إن أفضل الصلاة الركوع والسجود»[(١)].

ولشرف السجود وعظيم ركنيته سمى الله الصلاة سجودا، سماها الله في عدد من آيات القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦]، وكقوله تعالى: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾ [العلق: ١٩]، وكقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٩٨]، فعبر سبحانه عن الصلاة بالسجود، لأنه أشرف ما فيها.[(٢)]

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٨٢٢.

(٢) نظم الدرر للبقاعي (٩٩/١١).

ولمكانته في الصلاة تكرر في الركعة مرتين، ولم يتكرر ركن سواه في الركعة الواحدة؛ لحاجة المسلم للتذلل بين يدي سيده، ورفع طلبه وحاجاته إلى الله تعالى.

ومشهد السجود مشهد جليل، يسجد لله تعالى جميع البدن، فيسجد الوجه، وتسجد اليدان والركبتان والقدمان للرب جل في علاه، وجميع البدن قد سجد وخضع واستكان، قال ﷺ: «أُمرت أن أسجد على سبعة أعظم؛ على الجبهة، وأشار بيده على أنفه، واليدين والركبتين، وأطراف القدمين»(١).

والمتأمل في حال الساجد لله وفي هيئة أعضائه يراها قد خضعت لله وسجدت وانقادت، وتوجهت أطراف اليدين والقدمين جهة القبلة شطر المسجد الحرام، فسجد كل شيء من المصلي لله تعالى، واتجهت بهيئة وكيفية المتذلل لربه، المعظم لخالقه، المبجل لسيده، يقول ابن القيم رحمه الله «اشتملت الصلاة على عبودية جميع الجوارح والأعضاء مع عبودية القلب، فلكل عضو منها نصيب من العبودية، فجميع أعضاء المصلي وجوارحه متحركة في الصلاة عبودية لله وذلا وخضوعا»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٨١٢، ومسلم، حديث رقم: ٤٩٠.

(٢) بدائع الفوائد (١٨٩/٢).

سجد المصلي بهيئة قد بينها ﷺ وأرشدنا إليها، هيئة كلها تعظيم لله تعالـى وتذلل له، بكيفية معتدلـة، ونُهينا أن نماثل الحيوان ونشابهه في حركاته وطريقته، كانبساط الكلب أو بروك البعير، فالمصلي في سجوده قد جافى عن جنبيه ورفع صدره عن الأرض، غير مفتـرش الذراعين، قـال ﷺ: «اعتدلوا في السجود، ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب»[١]، سجود المتواضع لله المعظم له، والحكمة في عدم بسط الذراعين أنه أشبه بالتواضع، وأبلغ في تمكين الجبهة والأنف من الأرض، وأبعد من هيئات الكسالى، فإن المتبسط كشبه الكلب، ويشعر حاله بالتهاون بالصلاة، وقلة الاعتناء بها والإقبال عليها.[٢]

وما على المصلي من شعر وثياب له نصيب من السجود والخضوع، فثـوب المصلي ينبغـي أن يكون منسـدلاً غير مضموماً، ونهى ﷺ أن يجمع المصلي ثيابه ويضمها أو يشمر كمه فلا يقع علـى الأرض، حتى يتحقق كمال السـجود لله، وكذلك شعر المصلي نهي عن جمعه؛ بل يترك الشعر مسدولا، والحكمة في النهي عن جمعه أن الشـعر يسـجد معه، يقول النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد اتفق العلماء على النهي عن الصلاة وثوبه

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٨٢٢، ومسلم حديث رقم: ٤٩٣.
(٢) عمدة القاري (٢٠٩/٤).

مشمر أو كمه أو نحوه أو رأسه معقوص أو مردود شعره تحت عمامته أو نحو ذلك، فكل هذا منهي عنه باتفاق العلماء، وهو كراهة تنزيه، فلو صلى كذلك فقد أساء وصحت صلاته[1].

والمصلي بهذه الكيفية قد خضع وسجد كل شيء فيه لربه تعالى، فإذا سجد العبد لله سجدت جميع جوارحه، وإن سجود القلب وخضوعه لربه وتذلله لخالقه واستكانته أعظم سجود، فلا ينبغي للساجد ببدنه وفي نفسه شيء من الكبر والطغيان إلا وقد سقط مع تعفير وجه لله جل وعلا، ومن كان في قلبه استعلاء أو تعاظم يجب أن يتلاشى ويضمحل أمام عظمة الرب تعالى.

وسجود القلب والجوارح لله تعالى يكملها ذكر السجود ودعاؤه، فيكتمل السجود والخضوع عندما يقول الساجد بلسانه «سبحان ربي الأعلى»، مثبتا لله علوه وعظمته وجبروته وكبرياءه، عارفا قدر نفسه الذليلة المحتاجة للصمد سبحانه، صغيرا أمام الرب الأعلى سبحانه، مستشعرا أن أشرف ما فيه قد لصق بالتراب، وطأطأ جبهته ووضع صلبه لمولاه، فيتحصل للعبد حينها كمال العبودية والتذلل لله، فيستكين لربه ويخضع،

---

(١) شرح النووي على مسلم (٢٠٩/٤).

ويسبح الله ويقدسه، ويعظمه ويمجده، ويعترف بخطئه وتقصيره، ويسأل حاجاته ويرفع دعواته، ويطلب عفوه وغفرانه، يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: السجود غاية الخضوع والذل من العبد، وغاية تسفيله وتواضعه بأشرف شيء فيه لله ـ وهو وجهه ـ بأن يضعه على التراب، فناسب في غاية سفوله أن يصف ربه بأنه الأعلى، والأعلى أبلغ من العلي؛ فإن العبد ليس له من نفسه شيء؛ هو باعتبار نفسه عدمٌ محضٌ، وليس له من الكبرياء والعظمة نصيب[1].

يسبّح الساجد ربه بقوله «سبحان ربي الأعلى»[2]، ويسبحه أيضا بما ورد من صيغ التسبيح الواردة عن النبي ﷺ، كقول: «سبوح قدوس، رب الملائكة والروح»[3]، وقول: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي»[4]، وقول: «اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه، وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين».[5]

(١) مجموع الفتاوى (٢٣٧/٥).
(٢) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٧٧٢.
(٣) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٤٨٧.
(٤) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٧٩٤، مسلم، حديث رقم: ٤٨٤.
(٥) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٧٧١.

وأما الدعاء في السجود فقد قال ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه، وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»[(١)]، في هذا الموضع يكون القرب، حال تواضعه وانطراحه وانكساره، وإلصاق وجهه بالتراب، قد بلغ من الذل والخضوع غايته، فحين يطلب ربه حاجاته ومغفرته ورضوانه وهو في غاية الذل والخضوع فإن الكريم سبحانه يستجيب دعاءه، ولا يرد له طلبه، فيسأل الله لنفسه ولغيره حوائج الدنيا والآخرة، فإنه بلغ أقرب أبواب الإجابة، ووصل لأكمل حالات العبودية، فعليه أن يكثر الدعوات، وحريّ أن يستجاب له.

ومن أعظم المطالب أن يطلب العبد من سيده ومولاه العفو والمسامحة، ويسأل المغفرة والسَتر، ومما كان يدعو به النبي ﷺ في سجوده، «اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه، وجِلّه[(٢)]، وأوله وآخره وعلانيته وسره»[(٣)]، ومما كان يدعو به النبي ﷺ قول: «اللهم اجعل في قلبي نورا، وفي بصري نورا، وفي سمعي نورا، وعن يميني نورا، وعن يساري نورا، وفوقي نورا، وتحتي نورا، وأمامي نورا، وخلفي نورا، واجعل لي

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٤٨٢.
(٢) (دقة وجله) أي: صغيره وكبيره، وقليله وكثيره.
(٣) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٤٨٣.

نورا»[١]، ومـــن دعائه ﷺ قـــول: «اللهم أعـــوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».[٢]

يعدّ السجود في الصلاة بمثابة الخاتمة للركعة، وما قبلها كالمقدمة لها، ســبقه عدد من الأفعــال والأقوال؛ بدءا من التكبير والاســتفتاح والقراءة والركوع، ليصل إلى السجود أقصى خضوع وأبلغ تذلل، فبعــد أن مكّن المصلي وجهه وأعز أعضائه وأشرف ما فيه من التراب الذي يُداس ويُمتهن، فعند ذلك تتحقق العبودية لله والذل له والخضوع، فتستجاب الدعوات، وتقال العثــرات، وتغفر الزلات، قال ﷺ: «وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فَقَمِنٌ[٣] أن يستجاب لكم»[٤]، فمن يرد أن يطلب من ربه حاجته ويســأله أمــراً فعليه أن ينكســر له ويتذلل، لينال مطلوبه، ويحصــل على مراده، والســجود غاية الذل لله، وبقدر العبودية والانكسار تكون الإجابة والعطاء.

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٦٣١٦، ومسلم، حديث رقم: ٧٦٣.

(٢) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٤٨٦.

(٣) معن (قمن)، أي: جدير وحقيق وحري.

(٤) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٤٧٩.

والســـجود لله تعالى عبادة عظيمة، يشترك مع المصلي لله تعالى في السجود كل ما في الكون من شيء، فالكل يسجد لله ويخضع، فلا مجال للخروج عن ســـلطان الله وعبوديته، فهو الرب العظيم الذي قد خضع له كل شيء وسجد، يقول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾ [الحج: ١٨]، قـــال أبو العالية الرياحي: ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر، إلا يقع لله ساجدا حين يغيب، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له[١]، فالمصلي وهو ساجد لله يستشعر عبوديته لربه وخضوعه مع ما في الكون من مخلوق، وهو واحد من خلق الله، لينْأى بنفسه أن يكون ممن تكبر عن الخضوع لله والسجود له، كما أخبر الله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾، وأول من حق عليه العذاب واستكبر إبليس الرجيم، قال ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويلي أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار»[٢].

(١) تفسير ابن كثير، (٨/٢٤٤).
(٢) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٨١.

فالسجود شــرف ورفعة، وقربة وتكريم، كيف وقد سجد أشرف البشر محمد ﷺ ولم يجعل بينه وبين الأرض شيئاً يقيه، يقول أبو ســعيد الخدري رضي الله عنه: جاءت سحابة، فمَطَرَت حتى سال السقف، وكان من جريد النخل، فأقيمت الصلاة، فرأيت رسول الله ﷺ يســجد في الماء والطين، حتى رأيت أثر الطين في جبهته[1].

فالعبودية الحقة لله تعالى ينبغي أن تصرف للرب الأعلى، وأعضاء الإنسان لا ينبغي أن تنحني وتســجد وتذل لغير الله تعالى، فالله وحده المستحق للسجود، وهو وحده الذي يجب أن تخضع له الجباه والأيدي والأقدام وكل شيء من الإنسان، وقيل في معنى المساجد في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، إنها: الأعضاء التي يسجد عليها العبد، أي: هي لله فلا تسجدوا بها لغيره.[2]

يقــول الله تعالـــى: ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧]، يقول ابن تيمية رحمه الله: الخرور هو أول الخضوع المنافي للكبــر، فإن المتكبر يكره أن يخــر، ويحب ألّا يَزال

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٦٦٩، ومسلم، حديث رقم: ١١٦٧.
(٢) تفسير القرطبي (٢٠/١٩).

منتصبا مرتفعا إذا كان الخرور فيه ذل وتواضع وخشوع؛ ولهذا يأنف منه أهل الكبر من العرب وغير العرب، فكان أحدهم إذا سـقط منه الشـيء لا يتناوله لئلا يخر وينحني، فإن الخرور انخفاض الوجه والرأس وهو أعلى ما في الإنسان وأفضله وهو قد خلق رفيعا منتصبا، فإذا خفضه لا سيما بالسجود كان ذلك غاية ذله؛ ولهذا لم يَصلح السجود إلا لله، فمن سجد لغيره فهو مشرك، ومن لم يسجد له فهو مسـتكبر عن عبادته، وكلاهما كافر من أهل النار، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠][١].

والله سبحانه وتعالى حرّم على النار أن تأكل مواضع السـجود يوم القيامة، جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل حينما يجوز الناس على الصراط يـوم القيامة، فتخطف الكَلالِيب الناس بأعمالهم، قال صلى الله عليه وسلم: «وفي جهنم كَلالِيب مثل شوك السَّعْدَان، هل رأيتم شوك السَّعْدَان؟» قالوا: نعم، قال: «فإنها مثل شوك السَّعْدَان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم مـن يوبق بعمله، ومنهـم من يخردل ثم

(١) فتاوى ابن تيمية، (١٤٥/٢٣).

ينجو، حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار، أمر الله الملائكـــة: أن يخرجـــوا مـــن كان يعبـــد الله، فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار الســـجود، وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود»[(١)]، قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إن أهل التوحيد لا تأكل النار منهم مواضع سجودهم، وذلك دليل على فضل السجود عند الله وعظمته.[(٢)]

❀❀❀

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٨٠٦، مسلم، حديث رقم: ١٨٢.

(٢) فتح الباري لابن رجب، (٧/٢٤١).

الجلوس بين السجدتين..

بين ركنين عظيمين شــريفين في الصلاة يكون الجلوس، بين السجدة الأولى والسجدة الثانية، وهذا الركن له سرّ وشأن خاص، حيث يتمثل المصلي جاثياً على ركبتيه، ملقيا نفسه بين يدي مولاه، معتذرا راغبا راهبا.

والمتأمل في هيئة المصلي وهو جالس بين الســجدتين جاثيا، يراه في حالة من التذلل والخوف والمسكنة بين يدي السيد تبارك وتعالى، قد وضع يديه على ركبتيه، وبصره أمامه، وهيئة الرِجلين توحي بالتواضع والخضــوع، فهو بين الرغبة والرهبة، يطلب المغفرة والعفو، وينشــد الصفــح والمعذرة والمسامحة، قائلا: «رب اغفر لي، رب اغفر لي»[1].

فالجلوس بهــذه الكيفية في واقع البشــر يــدل على أن الجالس قد وصل حالة من الانكســار والاستضعاف أمام من

---

(١) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٨٧٤، والنسائي، حديث رقم: ١١٤٥، وابن ماجه، حديث رقم: ٨٩٧، أحمد، حديث رقم: ٢٣٣٧٥، وصححه الألباني.

يجثو بين يديه، مشهد يكون أحيانا أمام ملوك الدنيا وسادتها، يطلبون المعذرة والمسامحة والصفح، فبئس الجلسة والجالس له، فالمستحق لها هو الله جل في علاه، فما أجملها وأروعها حين تصرف لله تعالى، وما أعظمها حين يخص بها المولى الجليل تعالى وتقدس.

وقد كان ﷺ يكثر من هذه الجِلسة خارج صلاته، جلوس تواضع وخشوع، لا علو فيها ولا كبرياء، قال ﷺ: «آكل كما يأكل العَبد، وأجلس كما يجلس العَبد»[(١)]، وهيئتها إما على الركبتين كهيئة الصلاة، وهو أفضل الهيئات، أو برفع إحدى الركبتين حالة الأكل أو غيره، أو برفع الركبتين على صفة الاحتباء، وهو أكثر أنواع جلوسه ﷺ في غير الصلاة.[(٢)]

قال ابن القيم رحمه الله: اشتملت الصلاة على عبودية جميع الجوارح والأعضاء مع عبودية القلب، فلكل عضو منها نصيب من العبودية فجميع أعضاء المصلي وجوارحه متحركة في الصلاة عبودية لله وذلا وخضوعا، فلما أكمل المصلي هذه العبودية وانتهت حركاته ختمت بالجلوس بين يدي الرب

---

(١) أخرجه عبد الرزاق، حديث رقم: ٢٠٥٩٩، وأبو يعلى، حديث رقم: ٤٩٢١، وصححه الألباني.

(٢) مرقاة المفاتيح، (٣٧٢٥/٩).

تعالى جلوس تذلل وانكسار وخضوع لعظمته ﷻ كما يجلس العبد الذليل بين يدي سـيده، وكان جلوس الصلاة أخشـع ما يكون من الجلوس وأعظمه خضوعا وتذللا[١].

والمصلي حين يصل لهـذه الهيئة من الجلوس يدعو ربه لخاصة نفسه، يطلب العفو والغفران، فلا ذكر هنا ولا تسبيح ولا تمجيد غير دعاء المصلي ربه لنفسِـه، «رب اغفر لي رب اغفر لي رب اغفر لي»، ويكرر طلب العفو والمغفرة، ويلح في رجاء الصفح والمسامحة عن ذنبه وخطئه وتقصيره.

كان ﷺ يطيل الجلوس بين السـجدتين، «وكان ﷺ يقعد فيما بين السجدتين نحوا من سجوده»[٢]، لذا تجب الطمأنينة والاستقرار حال الجلوس، جاء عن أنس رضي الله عنه عن صفة جلوس النبي ﷺ، «ويقعد بين السجدتين حتى نقول قد أوهم»[٣]، وفي رواية: «حتى يقول القائل قد نسـي»[٤]، فمن طول جلوسه ﷺ واستغفاره في هذا الركن كان يظن الصحابة رضي الله عنهم أنه قد نسي أن يسجد، أو وهم عليه الصلاة والسلام في صلاته وسها.

---

(١) بدائع الفوائد، (١٨٩/٢).

(٢) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٨٧٤، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٤٧٣.

(٤) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٨٠٠، ومسلم، حديث رقم: ٤٧٢.

التشهد..

حين يصل المصلي لهـذا الموضع من الصلاة لم يتبق له إلا الانصراف وانقضاء الصلاة، فشرع له الجلوس بين يدي الله متذللا خاشعا، ذاكرا لله بأحسن المحامد والتحايا والتبريكات، مصليا على رسـول الله ﷺ بأفضل الصلوات وأزكاها، قائلاً: «التحيات لله والصلوات والطيبات..»، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وجعلت كلمات التحيات في آخر الصلاة بمنزلة خطبة الحاجة أمامها، فإن المصلي إذا فرغ من صلاته، جلس جلسة الراغب الراهب، يسـتعطي من ربه ما لا غنى به عنه، فشـرع له أمام اسـتعطائه كلمات التحيات مقدمة بين يدي سؤاله، ثم يتبعها بالصلاة على من نالت أمته هذه النعمة على يده، فكأن المصلي توسل إلى الله سـبحانه بعبوديته، ثم بالثناء عليه والشهادة له بالوحدانية، ولرسـوله بالرسـالة، ثم الصلاة على رسوله، ثم الصلاة والسلام على رسوله»(١).

---

(١) الصلاة وأحكام تاركها. (ص: ١٥٢).

جاء عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: علَمني رسول الله ﷺ وكفي بين كفيه التشـــهد، كما يعلمني الســـورة مـــن القرآن: «التحيات لله، والصلوات والطيبات، الســـلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، الســـلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله»(١).

والتحيات جمع تحية، والتحية التعظيم، وتتضمن التحيات معنى الحياة والبقاء والدوام الكامل لله تعالى، ومن عادة الناس يحيّون بعضهم بصيغ عديدة وألفاظ متنوعـــة، وأجلّ التحايا وأعطرها وأزكاها وأكملها وأفضلها لله جل في علاه، وهي تحية من العبد لربـــه تعالى الغني الحميد، يقـــول ابن القيم ﵀: وعادتهم إذا دخلوا على ملوكهـــم أن يحيوهم بما يليق بهم، وتلك التحية تعظيم لهم وثناء عليهم والله أحق بالتعظيم والثناء من كل أحد مـــن خلقـــه، فجمع العبـــد في قولـــه التحيات والصلوات والطيبات أنواع الثناء على الله(٢).

كان أهل الجاهلية يتمســـحون بأصنامهـــم ويقولون: لك الحياة الدائمة، فلما جاء الإسلام أمروا أن يجعلوا أطيب تلك

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٨٣١، ومسلم، حديث رقم: ٤٠٤.

(٢) بدائع الفوائد (١٨٩/٢).

التحايا وأزكاها وأفضلها لله تعالى[١]، ووصفت التحايا لله تعالى بـ «المباركات» لما فيها من الخير العظيم، كما في الصيغة الأخرى للتشهد، «التحيات المباركات، الصلوات الطيبات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله»[٢].

و«الصلوات»، تشمل الصلوات الخمس وصلاة النوافل، وكذلك الدعاء فإنه يسمى صلاة، فكل صلواتنا ودعائنا وعباداتنا لله تعالى، خالصة له سبحانه، ففيها تجديد للنية والقصد، وتخلية لما أصاب الصلاة من صرف وقصد لغير الله.

وفي الصلاة عدد من المواضع لتصحيح القصد لله تعالى وإخلاص التوجه له سبحانه، ففي مطلع الصلاة في دعاء الاستفتاح قول: «ولا إله غيرك» فلا أحد يستحق العبادة والركوع والسجود غير وجهك الكريم، وفي سورة الفاتحة قول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، تثنية من المصلي لتأكيد إخلاص القصد والتوجه لله تعالى، وفي وسط الصلاة في

(١) الصلاة وأحكام تاركها. (ص: ١٥٠).
(٢) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٤٠٣.

التشهد الأول وفي خاتمتها في التشهد الأخير يختم المصلي بتجديد الإخلاص لله تعالى حين يقول: «التحيات لله والصلوات»، أي الصلوات لله.

«الطيّبات»، الله تعالى طيّب في نفسه وأقواله وأفعاله، وفي الحديث يقول ﷺ: «إن الله طيّب لا يقبل إلا طيّبا»[1]، فالله سبحانه طيب، قدوس، منزه عن النقائص والعيوب، وكل طيب من القول والأعمال فإنه لله ﷻ، وكل ما شرعه الله لنا من الأقوال والأعمال فهو من الطيبات، فله سبحانه الطّيبات من أعمال العباد وأقوالهم، وهو سبحانه يقبل الطيبات ويثيب عليها، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

وذكر التشهد ذكر عظيم ناسب ختم الصلاة به، شمل كل الحقوق؛ حق الله تعالى، وحق لنبيه ﷺ، وحق للمصلي نفسه، وحق لعباد الله المؤمنين، فيبدأ بالتحايا لله تعالى بتنزيهه وتقديسه وتعظيمه، وإعلان الإخلاص له وهذا حق الله، ثم ثنت بالسلام على النبي ﷺ وهذا حق نبينا ﷺ، المتضمن الثناء على النبي ﷺ مع الدعاء له بالرحمة والبركات، «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته»، ثم السلام الخاص للمصلي نفسه،

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: ١٠١٥.

«السلام علينا»، ثم سلام لكل الصالحين من عباد الله، «وعلى عباد الله الصالحين».

والسلام من أنواع التحية، وفي الحديث أن المصلي إذا قال «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» قال ﷺ: «إنكم إذا قلتموها أصابت كل عبد لله صالح في السماء والأرض»[(١)]، فالمصلي بسلامه على عباد الله الصالحين، تصل للملائكة في السماء، وصالح الإنس والجن في الأرض، فأنت تدعو للصالحين من عباد الله، والصالحون المصلون يدعون لك عند كل تشهد في الصلاة، وكم من مصل لله تعالى في الأرض والسماء من الإنس والجان ومن الملائكة عليهم السلام، قال ﷺ: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون أَطَّتِ السماء، وحق لها أن تَئِط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله»[(٢)].

وسمي هذا الموضع من الصلاة بالتشهد نسبة إلى أعظم ما فيه وهو الشهادتين لله ولرسوله ﷺ، وكما بدأت الصلاة

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٨٣١، مسلم، حديث رقم: ٤٠٢.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٣١٢، وابن ماجه، حديث رقم: ٤١٩٠ وأحمد، حديث رقم: ٢١٥١٥.

بأعظم الكلام وأفضله بالشهادتين؛ كما في الدعاء عقب الوضوء، وفي دعاء الاستفتاح، فقد توسطت بالشهادتين في التشهد الأول، وختمت بالشهادتين كما في التشهد الأخير وفي الأذكار عقب الصلاة، وهذا إعلان توحيد الله تعالى في كل حال وآن، فهي من بدأ الحياة إلى الممات، فأول ما يسمع المولود في أذنيه الأذان، وفيه الشهادتان، ويختم المسلم حياته بالشهادتين، و«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»[(١)].

والعبد دائما وأبدا محتاج إلى تجديد الإيمان بقلبه وبلسانه، وتخليص العبادة مما يشوبها أو ينقصها أو يفسدها، و«أشهد ألا إله إلا الله» تردد دائما وأبدا، فلا معبود بحق إلّا الله، معلناً أن هذه الصلاة خالصة لله تعالى لا رياء فيها ولا سمعة ولا عجب، صافية نقية للرب تعالى.

«وأشهد أن محمد عبده ورسوله»، اعتراف وإقرار بنبوته ﷺ، ونقيم الصلاة كما أقامها ﷺ.

ويكتمل إعلان الشهادتين برفع السبابة والإشارة بها، كان ﷺ إذا جلس في الصلاة وضع يديه على ركبتيه، ورفع

---

(١) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٣١١٦، وأحمد، حديث رقم: ٢٢٠٣٤، وصححه الألباني.

إصبعه اليمنى التي تلي الإبهام، فدعا بها[1]، يشير بها موجهة إلى القبلة، وينوي بالإشارة التوحيد والإخلاص[2]، والحكمة في الإشارة بالسبابة وحده، إشارة أن المعبود سبحانه وتعالى واحد، فيجمع في توحيده بين القول والفعل والاعتقاد[3].

❀❀❀

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٥٨٠.
(٢) المنهاج شرح مسلم للنووي، (٨١/٥).
(٣) شرح سنن ابي داود، لابن رسلان (٣٠٥/٤).

الصلاة الإبراهيمية..

الصلاة علــى النبي ﷺ من أســباب اســتجابة الدعاء وقبوله، والصلاة كلها ذكر ودعاء، قبل الصلاة الإبراهيمية وبعدها، وورد الحث على الصلاة على النبي ﷺ قبل الدعاء وبعده، سمع رسول الله ﷺ رجلا يدعو في صلاته لم يمجد الله تعالى، ولم يصل على النبي ﷺ، فقال رســول الله ﷺ: «عَجِل هذا»، ثم دعاه فقال له: «إذا صلــى أحدكم، فليبدأ بتمجيد ربــه جل وعــز، والثنــاء عليه، ثــم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعــو بعد بما شــاء»[1]، وجاء عن عمر بن الخطــاب رضي الله عنه أنه قــال: إن الدعــاء موقوف بين الســماء والأرض لا يصعد منه شيء، حتى تصلي على نبيك»[2]، قال النووي رحمه الله، أجمع العلماءُ على استحباب ابتداء الدعاء

(١) أخرجه أبــو داود، حديث رقم: ١٤٨١، والترمــذي، حديث رقم: ٣٤٧٧، وأحمد، حديث رقم ٢٣٩٣٧، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي، حديث رقم: ٤٨٦، وحسنه الألباني.

بالحمد لله تعالى والثناء عليه، ثم الصلاة على رسول الله ﷺ، وكذلك تختم الدعاء بهما»(١).

وتختم الصلاة بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، اقتداء بصلاة الله تعالى وصلاة ملائكته الكرام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، إلا أن أفضل صيغ الصلاة والسلام ما علّمه رسولُ الله ﷺ أصحابَه، يقول كعب بن عجرة رضي الله عنه، سألْنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»(٢).

وجاء عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه، أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: «قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على

---

(١) الأذكار للنووي (ص: ١١٧).

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٣٣٧٠، ومسلم، حديث رقم: ٤٠٦.

آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»(١).

ومعنى صلاة الله تعالى على نبيه ﷺ، ثناؤه عليه في الملأ الأعلى وهم الملائكة المقربون، وصلاة الملائكة، ثناؤهم عليه ودعاؤهم له.

ومن تشريف الله تعالى لنبيه أن قرن آل بيته الطاهرين الطيبين في الصلاة والسلام، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وشرعت الصلاة على آله مع الصلاة عليه تكميلاً لقرة عينه بإكرام آله والصلاة عليهم، وأن يصلي عليه وعلى آله كما صلى على أبيه إبراهيم وآله، فلهذا كانت هذه الصلاة أكمل ما يصلي على رسول الله ﷺ بها وأفضل»(٢).

❀❀❀

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٣٣٦٩، ومسلم، حديث رقم: ٤٠٧.

(٢) الصلاة وأحكام تاركها (ص: ١٥٢).

يتخير من الدعاء ما شاء..

بعد الصلاة والسلام والتبريك على نبينا محمد ﷺ يَشْرع المصلي في دعاء الله تعالى ومسألته، قال رسول الله ﷺ: «إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»[١].

وكان ﷺ يدعو في الصلاة، «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من المأْثم والمغْرم»[٢].

وهذه أدعية جامعة عظيمة، فيها طلب العبد من ربه أن يعيذه من أعظم الشرور، ومن أشد ما يحذر ويتقى، فبدأ بالتعوذ بالله من النار، أعظم ما يتقى، قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ثم التعوذ من عذاب

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٥٨٨.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٨٣٢، ومسلم، حديث رقم: ٥٨٩.

القبر، وما أشدّ عذاب القبر، فالقبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، ثم التعوذ بالله من فتن الدنيا كلها، وجمعت الفتن بقوله «ومن فتنة المحيا والممات»، ثم خصص في التعوذ من أشد فتنة الدنيا وهي فتنة المسيح الدجال.

وكذلك التعوذ بالله من المأثم والمغرم، فالمأثم معناه الإثم والمعاصي، والمغرم هو الدَين. أي: الدَين الذي لا يجد وفاءه أو مطلق الدين، سأل رجل النبيَ ﷺ، ما أكثر ما تستعيذ من المغرم يا رسول الله؟ فقال: «إن الرجل إذا غرم، حدث فكذب، ووعد فأخلف»[١].

وفي تكرار التعوذ بالله من هؤلاء والالتجاء إلى الله في كل صلاة إشارة إلى أنها من أشد الفتن على العبد، وأعظم ما ينبغي أن يخافه المسلم وأن يحذره ويتقيه، وفيها أن الله وحده هو الملجأ والعاصم من جميع الفتن والشرور، وأنه لا غنى للعبد عن ربه سبحانه.

وهذا الموضع من الصلاة بين التشهد والتسليم من مواطن الدعاء، فيدعو المصلي بما أثر عن النبي ﷺ، ويدعو بما شاء من خيري الدنيا والآخرة، قال ﷺ «ثم يتخير من الدعاء أَعْجبَه

---

(١) المرجع السابق.

إليــه، فيدعــو»[١]، قال رســول الله ﷺ لرجــل: «ما تقول في الصلاة؟» قال: أتشهد، ثم أسأل الله الجنة، وأعوذ به من النار، أما والله ما أُحسن دندنتــك، ولا دندنة معاذ! قــال: حولها ندندن»[٢]، وســأل أبو بكر الصديق رضي الله عنه رسولَ الله ﷺ فقال: علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»[٣].

❀❀❀

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٨٣٥، واللفظ له، ومسلم، حديث رقم: ٤٠٢.

(٢) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٧٩٢، وابن ماجه، حديث رقم: ٩١١، وأحمد، حديث رقم: ١٥٨٩٨، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٨٣٤، ومسلم، حديث رقم: ٢٧٠٥.

تحليلها التسليم..

مع شــروع المصلي في صلاته وتكبيره تكبيرة الإحرام حَرُم عليه ما كان مباحاً له قبلها، فلم يحل له شيء من أمور الدنيا إلا بعد الســلام من الصلاة والانتهاء منها، «وتحريمها التكبير»، فحين يقبل على الله تعالى يناجيه ويدعوه حرم عليه إجلالا لله تعالى وتعظيما للموقف أن يتكلم في غير الصلاة أو يأكل أو يشــرب أو يلتفت، ووجب عليه أن يبقى بكامل طهارته، خاشــعا مطمئنا لله، هكذا تمرّ على المسلم خمس مرات في يومه وليلته ينقطع فيها عن الدنيا وملاذها ومشاغلها وكدرها وهمومها إلى عالم آخر مع الله تعالى يسبحه ويمجده ويثني عليه ويناجيه ويدعوه، قائما بين يديه وجالسا، وراكعا وساجدا ومخبتا لله تعالى.

فلما سلم وقال: «السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله» أحل له ما كان قد حرم عليه، قال ﷺ: «وتحليلها

التسـليم»[١]، فبسـلامه أحل له ما قد حرم عليه، وخرج من الصلاة يسعى في حوائجه ومعاشه وكسبه، يتقلب في دنياه.

ومع جلالـة الموقف بين يدي الله وعظمتـه إلا أن العبد لا يخلو مـن النقـص والوقوع فـي الخلل أثنـاء قيامه لربه ومناجاته، والتقصير والسهو من المصلي يكون بجهل أو خطأ أو نسـيان، أو بتحديـث النفس خارج الصـلاة أو باختلاس الشيطان ونزغه ووسوسته، فشـرع لنا دبر الصلاة بعد السلام منها طلب الله تعالى العفو والمغفرة، بالاسـتغفار ثلاثا، وكان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال: «اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام»[٢].

وفي الاستغفار بعد الصلاة إشارة إلى أنه ينبغي عدم النظر لما يأتي به العبد من الطاعة، وتكرار الاسـتغفار للمبالغة في رؤية النقص فيما جاء به من العبادة[٣].

واستغفار الله تعالى والاعترف بالخطأ نهج المسلم بعد كل عبادة، لأن العبـد لا يقوم بالعبادة علـى أكملها، فيطلب بعد

(١) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ٦١، والترمذي، حديث رقم: ٣، وابن ماجه، حديث رقم: ٢٧٥، وأحمد، حديث رقم: ١٠٠٦.
(٢) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٥٩١.
(٣) تطريز رياض الصالحين (٧٧٥/١).

الفراغ منها المسامحة والغفران، فيستغفر الله تعالى بعد تهجده وصلاتــه بالليل، كما قــال تعالــى: ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨]، وعند أداء الحج كذلك يســتغفر، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٩٩]، وكان من هديه ﷺ ختم مجالسه بالاستغفار، يقول ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهكذا ينبغي للعبد كلما فرغ من عبادة أن يســتغفر الله عــن التقصير، ويشــكره على التوفيق، لا كمن يرى أنه قد أكمل العبادة، ومنّ بها على ربه، وجعلت له محلا ومنزلــة رفيعة، فهذا حقيــق بالمقت، ورد الفعل، كما أن الأول، حقيق بالقبول والتوفيق لأعمال أخر(١).

والاعتــراف بالتقصير فــي أداء العبادة على وجهها ســبيل الصالحين، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مشهد التقصير: «وأن العبد لو اجتهد في القيام بالأمر غاية الاجتهاد وبذل وسعه هو مقصر، وحق الله ســبحانه عليه أعظم، والذي ينبغي لــه أن يُقَابل به من الطاعة والعبودية والخدمة فوق ذلك بكثير، وأن عظمته وجلاله ســبحانه يقتضي من العبودية ما يليق بها، وإذا كان خدم الملوك وعبيدهم يعاملونهم في خدمتهم بالإجلال لهم والتعظيم والاحترام

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٩٢).

والتوقير والحياء والمهابة والخشية والنصح بحيث يفرغون قلوبهم وجوارحهم لهم فمالك الملوك ورب السماوات والأرض أولى أن يعامل بذلك، بل بأضعاف ذلك، وإذا شهد العبد من نفسه أنه لم يوف ربه في عبوديته حقـه، ولا قريبا من حقه، علم تقصيره ولم يسعه مع ذلك غير الاستغفار والاعتذار من تقصيره وتفريطه وعدم القيام بما ينبغي له من حقه، وأنه إلى أن يغفر له العُبُودية ويعفو عنه فيها أحوج منه إلى أن يطلب منه عليها ثوابا»(١).

والعبد كما هو محتاج لعفو الله تعالى ومغفرته على تقصيره في جناب الله، فإنه محتاج إلى معونة الله تعالى على أداء العبادة على الوجه المطلوب شرعا، جاء في وصية النبي ﷺ لمعاذ: «لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعِنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»(٢)، والمقصود بحسن العبادة أداؤها على الوجْه الأكمل والأَتم لها، ولا يتم ذلك للعبد إلا بعون الله وتوفيقه.

❀❀❀

(١) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (ص: ٤٣).

(٢) أخرجه أبو داود، حديث رقم: ١٥٢٢، والنسائي، حديث رقم: ١٣٠٣، وأحمد، حديث رقم: ٢٢١٢٦، وصححه الألباني.

ختاماً..

وقفة تأمل في صلاة أحد أصحاب نبينا ﷺ، لما قام بين يدي الله تعالى يناجيه ويدعوه ويتلو كلامه، قد استشعر عظمة الموقف، وأجلّ قدر الصلاة، وقد جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرِّقَاع، فأصيبت امرأة من المشركين، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلا، وجاء زوجها وكان غائبا، فحلف ألّا ينتهي حتى يهريق دماً في أصحاب محمد ﷺ، فخرج يتبع أثر النبي ﷺ، فنزل النبي ﷺ منزلا، فقال: من رجل يكلؤنا ليلتنا هذه؟ فانتدب رجل من المهاجرين، ورجل من الأنصار، فقالا: نحن يا رسول الله، قال: فكونوا بفم الشعب، ونزلوا إلى شعب من الوادي، فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب، قال الأنصاري للمهاجري: أي الليل أحب إليك أن أَكْفِيَكَه؟ أوله أو آخره؟ قال: اكفني أوله، فاضطجع المهاجري فنام، وقام الأنصاري يصلي، وأتى زوج المرأة، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه

رَبِيئَةُ[١] القوم، فرماه بسهم، فوضعه فيه، فنزعه فوضعه، وثبت قائما، ثم رماه بسهم آخر، فوضعه فيه، فنزعه فوضعه، وثبت قائما، ثم عاد له بثالث، فوضعه فيه، فنزعه فوضعه، ثم ركع وسجد، ثم أهب صاحبه، فقال: اجلس فقد أوتيت، فوثب، فلما رآهما الرجل عرف أن قد نَذَرُوا[٢] به فهرب، فلما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء، قال: سبحان الله، ألا أَهْبَبْتَنِي قال: كنت في سورة أقرؤها، فلم أحب أن أقطعها حتى أُنْفِذَها، فلما تابع الرمي ركعت فَأُرِيتُك، وايْمُ الله، لولا أن أضيع ثغرا أمرني رسول الله ﷺ بحفظه، لقطع نَفْسِي قبل أن أقطعها، أو أُنفذها[٣].

فمن عرف قدر الصلاة، وعرف معانيها، وأدرك أسرارها، وذاق حلاوتها، وكانت راحته وقرة عينيه، ودخل فيها بقلب خاشع منكسر ذليل، مستشعرًا عظمة من يقف بين يديه، فلا تسأل بعدُ عن خشوعه وتلذذه بها وسلوته فيها، فإن جميع ما كان دونها يهون عليه، فهذا الصحابي الجليل عباد بن

(١) الربيئة أي: العين التي ترقب لهم.
(٢) نذروا به: شعروا به وعلموا بمكانه.
(٣) أورده البخاري (٦٤/١)، وأخرجه أبو داود، حديث رقم: ١٩٨، وأحمد، حديث رقم: ١٤٧٠٣، واللفظ له.

بشر رضي الله عنه يقوم يصلي من الليل بعد غزوة وشدة وسفر، وهو في ذات الوقت في مهمة وحراسة جيش المسلمين، يقف بين يدي الله يصلي، فيُرمى بسهم وهو في صلاته، فما التفت إلى ذلك، ثم يرمى بالسهم الثاني والثالث وهو مقبل على صلاته ومناجاته، متوجها إلى الله بكليته، لكن عظمة الموقف والمناجاة، وجلالة قدر الصلاة عنده خففت جرحه وآلامه، وأرخصت نفسه، وهونت عليه كل عسير، ولولا المهمة التي هو فيها من حراسة النبي ﷺ وأصحابه لقُتل قبل أن يكمل صلاته، وأرخص روحه في سبيل قربه وصلاته ومناجاته لله تعالى.

فنسأل الله الكريم أن يجعل قرة أعيننا في الصلاة، وأن يجعل راحتنا وأنسنا وسرورنا في الوقوف بين يديه، ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِىۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

والحمد لله رب العالمين..

❀❀❀

المراجع

١. **إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام**، ابن دقيق العيد، نشر: مطبعة السنة المحمدية.

٢. **الأذكار**، محيي الدين بن شرف النووي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، نشر: دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٣. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين الشنقيطي، نشر: دار الفكر بيروت ـ لبنان، ١٤١٥هـ.

٤. **بدائع الفوائد**، ابن قيم الجوزية، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت.

٥. **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن عاشور، نشر: الدار التونسية، ١٩٨٤هـ.

٦. **التسهيل لعلوم التنزيل**، ابن جزي الكلبي، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، نشر: دار الأرقم بن أبي الأرقم ـ بيروت، ١٤١٦هـ.

٧. **تطريز رياض الصالحين**، فيصل بـــن عبد العزيز المبارك، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، نشر: دار العاصمة، الرياض، ١٤٢٣هـ.

٨. **تفســـير ابن كثير**، تحقيق: ســـامي بن محمد سلامة، نشر: دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٩. **تفسير أبي السعود**، نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٠. **تفسير الإمام الشـــافعي**، جمع وتحقيق: أحمد بن مصطفى الفرَّان، نشر: دار التدمرية، ١٤٢٧هـ.

١١. **تفسير القرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ.

١٢. **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، ابن الملقن، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، نشر: دار النوادر، دمشق، ١٤٢٩هـ.

١٣. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر الســـعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، نشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

١٤. **جامع البيان عن تأويـــل آي القرآن**، ابـــن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

١٥. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم الأصبهاني، نشر: السعادة ـ مصر، ١٣٩٤هـ.

١٦. **الدر المنثور**، جلال الدين السيوطي، نشر: دار الفكر ـ بيروت.

١٧. **رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه**، تحقيق: عبد الله بن محمد المديفر، نشر: مطابع الشرق الأوسط ـ الرياض، ١٤٢٠هـ.

١٨. **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ابن قيم الجوزية، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢٧، ١٤١٥هـ.

١٩. **سنن ابن ماجه**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ـ عادل مرشد ـ محمَّد كامل قره بللي ـ عَبد اللّطيف حرز الله، نشر: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ.

٢٠. **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر: المكتبة العصرية ـ بيروت.

٢١. **سنن الترمذي**، تحقيق: بشار عواد معروف، نشر: دار الغرب الإسلامي ـ بيروت، ١٩٩٨م.

٢٢. **السنن الصغرى للنسائي**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، نشر: مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٢٣. **السنن الكبرى للبيهقي**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ.

٢٤. **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ.

٢٥. **شرح الأربعين النووية**، محمد بن صالح العثيمين، نشر: دار الثريا.

٢٦. **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك**، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، نشر: مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة، ١٤٢٤هـ.

٢٧. **الشرح الممتع على زاد المستقنع**، محمد بن صالح العثيمين، نشر: دار ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ.

٢٨. **شرح حديث النزول**، تقي الدين ابن تيمية، نشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ط٥، ١٣٩٧هـ.

٢٩. **شرح رياض الصالحين**، محمد بن صالح العثيمين، نشر: دار الوطن، الرياض، ١٤٢٦هـ.

٣٠. **شرح سنن أبي داود**، أحمد بن حسن بن رسلان، تحقيق: بإشراف خالد الرباط، نشر: دار الفلاح ـ مصر، ١٤٣٧هـ.

٣١. **شرح صحيح البخاري**، أبو الحسن علي بن بطال، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، نشر: مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٣هـ.

٣٢. **شرح معاني الآثار**، أبو جعفر الطحاوي، تحقيق: محمد زهري النجار ومحمد سيد جاد الحق، نشر: عالم الكتب، ١٤١٤هـ.

٣٣. **صحيح ابن حبان**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.

٣٤. **صحيح ابن خزيمة**، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، نشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٣٥. **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير الناصر، نشر: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٣٦. **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٣٧. **الصلاة وأحكام تاركها**، ابن قيم الجوزية، نشر: مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة.

٣٨. **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، ابن قيم الجوزية، نشر: دار السلفية، القاهرة، ط٢، ١٣٩٤هـ.

٣٩. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، بدر الدين العيني، نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٤٠. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلاني، نشر: دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٧٩هـ.

٤١. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، نشر: مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة النبوية، ١٤١٧هـ.

٤٢. **الفروسية**، ابن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور بن حسن، نشر: دار الأندلس ـ السعودية، ١٤١٤هـ.

٤٣. **قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات**، تقي الدين ابن تيمية، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، نشر: مكتبة أضواء السلف، ١٤٢٢هـ.

٤٤. **الكبائر**، شمس الدين الذهبي، نشر: دار الندوة الجديدة ـ بيروت.

٤٥. **الكلام على مسألة السماع**، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عزيز شمس، نشر: دار عالم الفوائد.

٤٦. **لسان العرب**، جمال الدين ابن منظور، نشر: دار صادر ـ بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٤٧. **مجمـــوع الفتـــاوى**، تقـــي الدين ابـــن تيميـــة، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر: مجمع الملك فهد، ١٤١٦هـ.

٤٨. **مجموع رســـائل الحافظ ابن رجب الحنبلي**، تحقيق: أبو مصعب طلعت الحلواني، نشر: الفاروق الحديثة، ١٤٢٤هـ.

٤٩. **المحـــرر الوجيز في تفســـير الكتاب العزيـــز**، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤٢٢هـ.

٥٠. **مختار الصحاح**، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، نشـــر: المكتبة العصرية ـ الدار النموذجية، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ.

٥١. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ.

٥٢. **المراسيل**، أبو داود السجستاني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ١٤٠٨هـ.

٥٣. **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، علي الملا القاري، نشر: دار الفكر، بيروت، ١٤٢٢هـ.

٥٤. **المستدرك على الصحيحين**، محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤١١هـ.

٥٥. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ـ عادل مرشد، وآخرون، نشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ.

٥٦. **مسند البزار**، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق، نشر: مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة، ٢٠٠٩م.

٥٧. **مسند الدارمي**، تحقيق: حسين سليم الداراني، نشر: دار المغني، ١٤١٢هـ.

٥٨. **المصنف**، أبو بكر بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، نشر: مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ.

٥٩. **المصنف**، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات، نشر: دار التأصيل، ط٢، ١٤٣٧هـ.

٦٠. **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، أبو محمد الحسين البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ١٤٢٠هـ.

٦١. **المعجم الأوسط**، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، نشر: دار الحرمين ـ القاهرة.

٦٢. **المعجم الكبير**، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، نشر: مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة، ط٢.

٦٣. **المغني**، موفق الدين ابن قدامة المقدسي، نشر: مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ.

٦٤. **المفردات في غريب القرآن**، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، نشر: دار القلم، الدار الشامية ـ دمشق بيروت، ١٤١٢هـ.

٦٥. **المنهاج شرح صحيح مسلم**، محيي الدين بن شرف النووي، نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٦٦. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، برهان الدين البقاعي، نشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٦٧. **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، ابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، نشر: دار الحديث ـ القاهرة، ط٣، ١٩٩٩م.

الفهرس

الفصـل الثاني

«الاستعداد للصلاة»

الفصـل الثالث

«بين يدي اللّٰه تعالى»

❀❀❀

للتواصل مع المؤلف عبر البريد الالكتروني:
a.alqanut@gmail.com